مقدمة في علم القراءات

عداد د. أسامة صابر

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

إن القرآن العظيم ينبوع العلوم ومنشؤها، ومبنى قواعد الشرع وأساسه، وكل علم يشرف بشرف متعلقه، ومن ثم صار علم القراءات من أجل العلوم النافعات.

القراءات لغة:

القراءات جمع قراءة، وهي في اللغة مصدر سماعي لقرأ، ومادة (ق. ر. أ) تدور في لسان العرب حول معنى الجمع والضم.

القراءات اصطلاحًا:

ينبغي أن ندرك أن هناك فرقًا بين القراءات وعلم القراءات كما أن هناك فرقًا بين القرآن الكريم وعلوم القرآن

فالقراءة: مذهب منسوب لإمام من أئمة القراء مخالفًا به غيره في النطق بالقرآن الكريم مع اتفاق الروايات والطرق عنه.

فقولنا مثلا (النبيء) بالهمز قراءة نافع يعني أنه انفرد بذلك عن باقي القراء مع اتفاق الرواة وطرقهم عن نافع على هذا الحرف.

وهنا نتطرق إلى ذكر الفرق بين القراءة والرواية والطريق والوجه:

فالقراءة: ما نُسب لإمام من أئمة القراءات إذا اتفقت الروايات والطرق عنه.

والرواية: ما نُسب إلى الآخذ عن هذا الإمام ولو بواسطة.

مثال ذلك قوله تعالى: (ثم اجعل على كل جبل منهن جزءًا) فضم الزاي في (جزءًا) رواية شعبة عن عاصم خالف فيها حفصًا، وهو الراوي الثاني عن الإمام عاصم.

والطريق: ما نسب إلى الآخذ عن الراوي ولو نزل.

مثاله: طريق الأزرق عن ورش عن نافع، وطريق عبيد بن الصباح عن حفص عن عاصم.

والوجه: ما يرجع إلى تخيير القارئ.

مثال ذلك: إذا وقفت على العارض للسكون في قوله تعالى (الحمد لله رب العالمين)، فأنت مخير بين القصر والتوسط والمد، فهذه ثلاثة أوجه.

علم القراءات:

هو علم يُعرف به كيفية النطق بالكلمات القرآنية، وطريق أدائها اتفاقًا واختلافًا مع عزو كل وجه لناقله.

موضوع علم القراءات:

كلمات الكتاب العزيز من حيث أحوال النطق بها، وكيفية أدائها.

فائدته وثمرته:

١. العصمة من الخطأ في النطق بالكلمات القرآنية وصيانتها عن التحريف والتغيير، والعلم بما يقرأ به كل من أئمة القراءة، والتمييز بين ما يقرأ به وما لا يقرأ به.

٢. استنباط المعاني من كل حرف يقرأ به، ففيه معنى لا يوجد في قراءة الآخر، فالقراءات حجة الفقهاء في الاستنباط.

٣. التسهيل على الأمة، وإظهار شرفها من حيث إنهم يفرغون جهدهم في تحقيق ذلك وضبطه.

فضله:

هو من أشرف العلوم الشرعية؛ لتعلقه بأشرف الكتب المنزلة.

استمداده:

من النقول الصحيحة والمتواترة عن علماء القراءات الموصولة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم.

حكم تعلمه وتعليمه: الوجوب الكفائي.

القرآن والقراءات حقيقتان متغايرتان:

فالقرآن هو الوحي المنزَّل للإعجاز والبيان، والقراءات هي اختلاف ألفاظ الوحي المذكور في الحروف أو كيفيتها.

إثبات نزول القراءات:

في الصحيحين من حديث عَبْد اللَّهِ بْن عَبَّاس رَضِيَ اللَّه عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ قَالَ: «أَقْرَأَنِي جِبْرِيلُ عَلَى حَرْف فَرَاجَعْتُهُ، فَلَمْ أَزَلْ أَسْتَزِيدُهُ وَيَزِيدُنِي حَتَّى انْتَهَى إِلَى سَبْعَة أَحْرُف».

وفي هذا الحديث ما يدل على أن النبي صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّم تلقى هذه الأحرف السبعة من جبريل وقرأ بها.

في صحيح مسلم (حديث رقم ٨٢١) من حديث أُبي بن كعب أن النبي صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ كَانَ عِنْدَ أَضَاةِ

بَنِي غِفَارٍ، قَالَ: فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَقْرَأَ أُمَّتُكَ الْقُرْآنَ عَلَى حَرْفٍ، فَقَالَ: «أَسْأَلُ اللَّهَ مُعَافَاتَهُ وَمَغْفِرَتَهُ، وَإِنَّ أُمَّتِي لَا تُطِيقُ ذَلِكَ»، ثُمَّ أَتَاهُ الثَّانِيَةَ، فَقَالَ: «إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَقْرَأَ أُمَّتُكَ الْقُرْآنَ عَلَى حَرْفَيْنِ»، فَقَالَ: «أَسْأَلُ اللَّهَ مُعَافَاتَهُ وَمَغْفِرَتَهُ، وَإِنَّ أُمَّتِي لَا تُطِيقُ ذَلِكَ»، ثُمَّ جَاءَهُ الثَّالِثَةَ، فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَقْرَأَ أُمَّتُكَ الْقُرْآنَ عَلَى ثَلَاثَةِ أَحْرُفٍ، فَقَالَ: «أَسْأَلُ اللَّهَ مُعَافَاتَهُ وَمَغْفِرَتَهُ، وَإِنَّ أُمَّتِي لَا تُطِيقُ ذَلِكَ»، ثُمَّ جَاءَهُ الرَّابِعَةَ، فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَقْرَأَ أُمَّتُكَ الْقُرْآنَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ، فَأَيُّمَا حَرْفٍ قَرَؤُوا عَلَيْهِ فَقَدْ أَصَابُوا.

وفي مراجعة النبي صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ، واستزادته ما يدل على حرصه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ على أمته وشفقته عليهم فلغاتهم شتى ولهجاتهم متعددة، وفي إنزال القرآن على سبعة أحرف توسعة من الله عز وجل على عباده وتيسير كتابه للذكر.

وفي الصحيحين من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: سَمِعْتُ هِشَامَ بْنَ حَكِيمِ بْنِ حِزَامٍ، يَقْرَأُ سُورَةَ الْفُرْقَانِ فِي حَيَاةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَاسْتَمَعْتُ لِقِرَاءَتِهِ، فَإِذَا هُوَ يَقْرَأُ عَلَى حُرُوفٍ كَثِيرَةٍ، لَمْ يُقْرِئْنِيهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَكِدْتُ أُسَاوِرُهُ فِي الصَّلَاةِ، فَتَصَبَّرْتُ حَتَّى سَلَّمَ، فَلَبَّبْتُهُ بِرِدَائِهِ، فَقُلْتُ: مَنْ أَقْرَأَكَ هَذِهِ السُّورَةَ الَّتِي سَمِعْتُكَ تَقْرَأُ؟ قَالَ: أَقْرَأَنِيهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقُلْتُ: كَذَبْتَ، فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ أَقْرَأَنِيهَا عَلَى غَيْرِ مَا قَرَأْتَ، فَانْطَلَقْتُ بِهِ أَقُودُهُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقُلْتُ: إِنِّي سَمِعْتُ هَذَا يَقْرَأُ بِسُورَةِ الْفُرْقَانِ عَلَى حُرُوفٍ لَمْ تُقْرِئْنِيهَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَرْسِلْهُ، اقْرَأْ يَا هِشَامُ» فَقَرَأَ عَلَيْهِ الْقِرَاءَةَ الَّتِي سَمِعْتُهُ يَقْرَأُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كَذَلِكَ أُنْزِلَتْ»، ثُمَّ قَالَ: «اقْرَأْ يَا عُمَرُ» فَقَرَأْتُ الْقِرَاءَةَ الَّتِي أَقْرَأَنِي، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كَذَلِكَ أُنْزِلَتْ؛ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ أُنْزِلَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ، فَاقْرَؤُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ» (صحيح البخاري حديث رقم ٤٩٩٢، وصحيح مسلم حديث رقم ٨١٨).

ومن هذا الحديث يتبين لنا أن القراءات كلها كلام الله عز وجل أنزله على رسوله صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأن الرسول صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أقرأ بها أصحابه هذا بوجه وهذا بوجه آخر، وصوَّب من قرأ ببعضها دون بعض.

المراد بالأحرف السبعة:

أجمع العلماء على أنه ليس المقصود بالأحرف السبعة قراءة الكلمة الواحدة على سبعة أوجه؛ إذ لا يوجد ذلك إلا في كلمات يسيرة، وكذلك أجمعوا أن الأحرف السبعة لا يراد بها القراءات السبع؛ لأن قراءات الأئمة السبعة بل العشرة التي يقرأ بها الناس هي جزء من الأحرف السبعة؛ إذ إن كثيرًا من الأحرف السبعة قد نُسخ بالعرضة الأخيرة التي عارض فيه جبريل النبي صلى الله عليه وسلم القرآن قبل وفاته. واختلفت أقوال العلماء في المراد بالأحرف السبعة وأصح الأقوال وأولاها بالصواب أن المراد بالأحرف أوجه من اللغات تكلمت بها قبائل العرب.

أوجه اختلاف الأحرف السبعة:

اختلاف الأسماء في الإفراد والتثنية والجمع: كقوله: (كطي السجل للكتاب) و (للكتب).

اختلاف في التذكير والتأنيث: كقوله: (ولا يقبل منها شفاعة) قرئ بياء التذكير وتاء التأنيث.

اختلاف تصريف الأفعال من ماض ومضارع وأمر: كقوله تعالى: (قال ربي يعلم القول) قرئ (قال) و (قل).

اختلاف وجوه الأعراب: كقوله (يسبح له فيها بالغدو والآصال) قرئ (يسبح) بالبناء للمعلوم وبالبناء للمجهول.

الاختلاف بالنقص والزيادة: كقوله تعالى: (وما عملته أيديهم) بالهاء وبغير هاء.

الاختلاف بالتقديم والتأخير: كقوله تعالى في سورة آل عمران: (وقاتلوا وقتلوا).

الاختلاف بالإبدال: كقوله تعالى في سورة يونس: (هنالك تبلوا كل نفس ما أسلفت) قرئ (تبلوا) بالباء وقرئ بإبدالها تاء (تتلوا).

الاختلاف في اللهجات: كالفتح والإمالة، والإظهار والإدغام، والتفخيم والترقيق والتحريك والتسكين، وغير ذلك. التشديد والتخفيف: كقوله: (بما كانوا يكذبون) قرئ بتشديد الذال وتخفيفها.

الخطاب والإخبار: كقوله تعالى في سورة آل عمران: ١٢ (ستُغلبون وتحشرون) قرئ بتاء الخطاب وقرئ بياء الغيبة (سيغلبون ويحشرون).

الصرف وتركه: كقوله: (وعادا وثمودا) في سورة الفرقان الآية ٣٨، والعنكبوت الآية ٣٨، قرئ بتنوين ثمود وبتركه.

وللحديث بقية إن شاء الله.

بين يدي رمضان

إعداد/ د. أسامة صابر عبد العليم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

أقبل شهر الخير، وأقبلت معه نسائم الرحمة وظلال المغفرة وبشائر الرضوان، ومع أول ليلة منه تهب نفحات المنح الربانية فيذكو الكون بطيبها، روى الترمذي وصححه الألباني رحمه الله أنه صلى الله عليه وسلم قال: «إِذَا كَانَ أَوَّلُ لَيْلَةٍ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ صُفِّدَتِ الشَّيَاطِينُ وَمَرَدَةُ الْجِنِّ وَغُلِّقَتْ أَبْوَابُ النَّارِ فَلَمْ يُفْتَحْ مِنْهَا بَابٌ وَفُتِّحَتْ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ فَلَمْ يُغْلَقْ مِنْهَا بَابٌ وَيُنَادِي مُنَادٍ يَا بَاغِيَ الْخَيْرِ أَقْبِلْ وَيَا بَاغِيَ الشَّرِّ أَقْصِرْ وَلِلَّهِ عُتَقَاءُ مِنَ النَّارِ وَذَلِكَ كُلَّ لَيْلَةٍ» (سنن الترمذي ٦٨٢).

وهذه تذكرة لنفسي ولإخواني مع مقدم هذا الشهر، وقد قال الله تعالى: « وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَىٰ تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ » (الذاريات: ٥٥).

١- سابقوا الخيرات

قال تعالى: «وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ » (آل عمران: ١٣٣)، وقال عز وجل: «سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ » (الحديد: ٢١).

قال الحسن رحمه الله: «إن الله جعل شهر رمضان مضماراً لخلقه يستبقون فيه بطاعته إلى مرضاته، فسبق قوم ففازوا، وتخلف آخرون فخابوا، فالعجب من اللاعب الضاحك في اليوم الذي يفوز فيه المحسنون، ويخسر فيه المبطلون..» ثم بكى رحمه الله.

٢- أذهب درن الذنوب بالاستغفار والتوبة

فالذنوب نكت سوداء في القلب وحائل يمنع لذة الطاعة، ويثبط عن العبادة، وجلاء القلوب وشفاء أمراضها في التوبة النصوح، قال تعالى: «وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ » (النور: ٣١)، ولنا في رسول الله صلى الله عليه وسلم الأسوة الحسنة فقد كان يقول: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ تُوبُوا إِلَى اللَّهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ، فَإِنِّي أَتُوبُ إِلَى اللَّهِ، وَأَسْتَغْفِرُهُ فِي كُلِّ يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ».

٣- تقرب إلى الله بالفرائض فهي أحب الأعمال إلى الله:

ففي الحديث القدسي: «وما تقرب إليَّ عبدي بشيء أحب إلى مما افترضته عليه» (صحيح البخاري٦٥٠٢)، فاحرص على أداء الصلوات الخمس في جماعة، فإن ذلك من سنن الهدى، ولا تفوتنك صلاة الفجر والعصر فمن صلى البردين دخل الجنة، ولا تؤخر صلاة المغرب فقد كان من هدى النبي صلى الله عليه وسلم أن يفطر على رطبات أو تمرات ثم يصلي المغرب.

فرض الله صوم رمضان وجعله له، وهيَّأ للصائمين باب الريان يدخلون منه إلى الجنة، فصم صوم الأبرار الذين حققوا غاية التقوى، وكان صومهم إيمانًا واحتسابًا، صامت أسماعهم وأبصارهم عن المحارم، وصامت ألسنتهم عن اللغو والفحش وقول الزور، فجوارحهم كلها في طاعة الله، وحين أفطروا أطابوا مطاعمهم فكانت من كسب حلال ففرحوا بفطرهم مع ما أعده الله لهم من الفرح يوم لقائه.

٤- اظفر بالنوافل فإنها السبيل إلى محبة الله:

وأصغ سمعك وقلبك لقول الله في الحديث القدسي: «ولا يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبه» فما أشرفها من غاية، وما أسماها من منزلة، فالشأن كل الشأن أن يحبك الله عز وجل، وطريقك إلى ذلك الإكثار من النوافل، فواظب على السنن الراتبة، وصلِّ القيام مع إمامك حتى ينصرف يكتب لك قيام ليلة، واحذر الرياء والسمعة والعجب، واستحضر أن من قام رمضان إيمانًا واحتسابًا غُفر له ما تقدم من ذنبه.

٥- تعاهد القرآن:

رتِّل كتاب ربك في الشهر الذي أنزله الله فيه،

وفيه كان جبريل يلقى النبي صلى الله عليه وسلم فيدارسه القرآن، فزكِّ نفسَك بهديه، وطهِّر قلبك بنوره، لا يكن همك أن تعد الختمات فتقرأه هذًا كهذّ الشعر ولكن قف مع معانيه، وتدبر آياته، ومما يعين على ذلك أن تتعرف على معاني الكلمات التي يعسر عليك فهمها من كتب التفسير أو كتب غريب القرآن.

لا يزال لسانك رطبًا من ذكر الله:

والذكر يسير على اللسان، عظيم الأجر، وكفى الذاكر شرفًا أن يكون مذكورًا من الله عز وجل، فاغتنم أوقاتك وعمرها بالأذكار فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لأن أقول: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله اكبر أحب إليَّ مما طلعت عليه الشمس» (صحيح مسلم ٢٦٩٥).

الدعاء هو العبادة:

قال تعالى بعد أن أمر بالصيام: « وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ» (البقرة: ١٨٦)، فها هي أبواب السماء قد فتحت والإجابة أرجى ما تكون في تلك الأوقات المباركة فأكثر من الدعاء وتحرَّ ثلث الليل الآخر وقت نزول الرب تبارك وتعالى إلى سماء الدنيا.

كن جوادًا بالخير:

تأسَّ بالنبي صلى الله عليه وسلم وأكثر من الصدقة، قال تعالى: «إِنَّ الْمُصَّدِّقِينَ وَالْمُصَّدِّقَاتِ وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ » (الحديد ١٨)، والمرء في ظل صدقته يوم القيامة، وأطعم الطعام وفطِّر الصائمين ولا تحقرن من المعروف شيئًا، واتق النار ولو بشق تمرة.

خالق الناس بخلق حسن:

فليس شيء أثقل في ميزان العبد من حسن الخلق، والصيام لا يعني الضجر والضيق والغضب، بل إنه يلجم النفس الجموح بلجام التقوى، وقد قال رسول الله: « الصيام جنة فلا يرفث ولا يجهل وإن امرؤ قاتله أو شاتمه فليقل إني صائم مرتين» (صحيح البخاري من حديث أبي هريرة ١٨٩٤).

والصيام ليس مدعاة إلى الكسل وتضييع مصالح المسلمين وإهمال العمل، ومن تأمل تاريخ الإسلام علم أن أعظم الفتوحات وقعت في شهر رمضان.

وأمر أهلك بالصلاة:

قد استرعاك الله هذه الرعية وأنت مسئول عنها، فحثَّ زوجك وولدك على الطاعة، ورغِّبهم في العمل الصالح، ودرِّب أولادك على الصيام والقيام وقراءة القرآن.

احذر فتور العزم:

فمن الناس من يبدأ الشهر بهمة عالية، فإذا انقضى ثلثه الأول فترت همته وضعفت عزيمته، وقد تضيع عليه أغلى الأوقات في العشر الأواخر، ومن الناس من يجتهد ليلة السابع والعشرين ويفرط فيما قبلها وما بعدها، وما يدريه لعل ليلة القدر ضاعت منه في غمار تفريطه.

فضول المباحات تعيق عن بلوغ الدرجات:

الإسراف في الأكل والشرب يثقل عن العبادة، وقد قال تعالى: «وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ » (الأعراف: ٣١)، وكثرة النوم تثبِّط عن لحاق ركب السائرين إلى الله، وإضاعة الوقت في المشي في الأسواق والعبث بالهاتف وتصفح مواقع التواصل غبن أي غبن، والعاقل من علم أن الشهر يمضي سريعًا، فضنَّ بلحظاته أن تُنفَق في غير طاعة.

العبرة بالخواتيم:

وفي العشر الأواخر ليلة خير من ألف شهر، من قامها إيمانًا واحتسابًا غُفر له ما تقدم من ذنبه، ومن عكَف قلبه على طاعة الله والتمسها فقد أفلح وأنجح، وعن عائشة رضي الله عنها، كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجتهد في العشر الأواخر ما لا يجتهد في غيره» (صحيح مسلم ١١٧٥).

قل آمنت بالله ثم استقم:

ليكن هدفك أن تجعل من رمضان بداية انطلاقة لطاعة تدوم، واستقامة لا تعوج عنها ولا تروغ، فتبقى حلاوة الطاعة في القلب دافعة لك إلى تحصيل أخواتها، وجنة الصيام واقية لك من اقتراف السيئات.

نسأل الله عز وجل أن يجعلنا ممن أدرك رمضان فغُفِرَ له،

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

علم القراءات وأثره في العلوم الشرعية

الحلقة الرابعة

إعداد/ د. أسامة صابر

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

فقد أثر علم القراءات تأثيرًا كبيرًا في العلوم الشرعية، فكل قراءة متواترة بمثابة آية مستقلة تضيف معاني عظيمة ينتفع منها المفسِّر في تفسيره، ويستنبط منها الفقيه أحكامًا وأسسًا يبني عليها اجتهاده، ويستشهد بها النحوي في مباحثه اللغوية.

أثر القراءات في علم التفسير:

ينتهج المفسرون في تفسيرهم لكتاب الله أن يفسروه بالقرآن وبالسنة النبوية، وبأقوال الصحابة والتابعين، وبما يوافق اللغة العربية، وبالرأي الجائز. ولذا كانت القراءات من أهم مصادر تفسير القرآن؛ فكل قراءة تضيف لتفسير الآية معاني جديدة لا تناقض فيها؛ لأنها تنزيل من حكيم حميد، ومن كتب التفسير التي عُنيت بذكر القراءات واستنباط المعنى منها: تفسير ابن جرير الطبري، وابن عطية، والقرطبي، وأبي حيان، والألوسي، والرازي، وغيرهم.

ومن الأمثلة التي تبين أثر القراءات في إثراء المعاني القرآنية:

١. قوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَٰنِ إِنَاثًا﴾ (الزخرف: ١٩)، قرأ الكوفيون وأبو عمرو (عباد الرحمن)، وهذا يدل على أن الملائكة من خلق الله وهم عبيده؛ كما قال تعالى (بل عباد مكرمون)، ويرد على المشركين في زعمهم أن الملائكة بنات الله، تعالى الله عن قولهم علوًّا عظيمًا، وقرأ الباقون (عند الرحمن)، وفي هذا بيان لشرفهم وفضلهم وعلو مكانتهم، كما قال تعالى: (ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته).

٢. قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ (يونس: ٢٢)، قرأ ابن عامر وأبو جعفر (ينشركم) من النشر، وهو البسط أي يبثكم ويفرقكم في البر والبحر كما قال تعالى (وبث فيها من كل دابة)، وقال تعالى: (فانتشروا في الأرض)، وقرأ الباقون (يسيركم) من التسيير وهو السير، وهو في البر المشي على الأقدام وركوب الدواب، وفي البحر ركوب ما علمهم صنعه من الفلك، كما قال تعالى (قل سيروا في الأرض) وقال (فامشوا في مناكبها).

٣. قوله تعالى ﴿هُنَالِكَ تَبْلُوا كُلُّ نَفْسٍ مَّا أَسْلَفَتْ﴾ (يونس: ٣٠)، قرأ حمزة والكسائي وخلف البزار (تتلوا) بتاءين من التلاوة، وهي القراءة لكتاب الأعمال يوم القيامة كما قال تعالى: (فأولئك يقرءون كتابهم) أو المعنى تتبع كل نفس ما قدمت في الدنيا لذلك اليوم، وقرأ الباقون (تبلوا) بالباء أي تعاين وتطلع على جزاء عملها.

٤. قوله تعالى ﴿وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا﴾ (الكهف: ٥١) ومعناه ما كنت متخذ المضلين أعوانًا، وضمير المتكلم يعود على الله عز وجل، وقرأ أبو جعفر (وما كنتَ) بتاء الخطاب أي ما كنت يا محمد متخذ المضلين أعوانًا وأنصارًا.

وننبه هنا إلى تحريف الشيعة لكتاب الله عز وجل حين افتروا قراءة مكذوبة فقرؤوا (المضلين) بالتثنية، ويعنون بهما أبا بكر وعمر رضي الله عنهما.

٥. قوله تعالى: ﴿لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ النَّارَ وَأَنَّهُم مُّفْرَطُونَ﴾ (النحل: ٦٢)، ومعنى مفرَطون: مخلفون متروكون في النار، منسيون فيها، وقرأ نافع (مفرطون) بكسر الراء وتخفيفها، والمعنى: مفرطون في الذنوب والمعاصي، مسرفون على أنفسهم، مجاوزون الحد في الطغيان، وقرأ أبو جعفر بكسر الراء وتشديدها وهو اسم فاعل من فرط في الأمر إذا قصَّر فيه، والمعنى أنهم مقصرون في حق أنفسهم وفي طاعة الله.

أثر القراءات في علم الاعتقاد:

١. قوله تعالى: ﴿فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا﴾ (يوسف: ٦٤)، فيها قراءتان (حفظًا، وحافظًا) ومن قراءة (حافظًا) نثبت لله عز وجل اسمًا من الأسماء الحسنى هو الحافظ.

٢. قوله تعالى: ﴿بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ﴾ (الصافات: ١٢)، قرأ حمزة والكسائي وخلف بضم التاء في (عجبت) والباقون

بفتحها، وفي قراءة الضم إثبات صفة العجب لله عزوجل على ما يليق به سبحانه، قال ابن جرير الطبري رحمه الله: (قد عجب محمد مما أعطاه الله من الفضل، وسخر منه أهل الشرك بالله، وقد عجب ربنا من عظيم ما قاله المشركون في الله، وسخر المشركون بما قالوه).

٣. قوله تعالى: (وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ) (التكوير:٢٤)، فيه قراءتان (بضنين، وبظنين)، فيجب على المسلم اعتقاد سلامة النبي صلى الله عليه وسلم من الضنّ بالغيب فهو لم يكتم شيئًا مما أوحاه الله إليه، ويعتقد سلامته من الظن بالغيب فهو لم يتلقاه ظانًا أو واهمًا أو شاكًا، بل تلقاه بيقين.

أثر القراءات في علم الفقه:

كان الفقهاء رحمهم الله يهتمون بعلم القراءات تعلمًا واستنباطًا لأحكام الفقه منها، ومتى ثبتت القراءة فالعمل بها واجب، ومن الأمثلة التي توضح أثر القراءات في الأحكام الفقهية:

١. قوله تعالى (فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ) (البقرة:٢٢٢)، وفيها قراءتان متواترتان: (يطهرن) بإسكان الطاء وضم الهاء والمعنى زوال أثر الدم، و(يطهرن) بتشديد الطاء والهاء وفتحهما على معنى التطهير بالماء وهو الغسل، واختلاف الفقهاء في معنى الطهر الذي تحل به المرأة لزوجها بعد انقضاء الحيض مبني على المعنى المستنبط من القراءتين.

٢. قوله تعالى: (وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى) (البقرة: ١٢٥)، قرأ نافع وابن عامر بفتح الخاء في (واتخذوا) على الخبر فهو إخبار عمن سبقنا من المؤمنين أنهم اتخذوا من مقام إبراهيم مصلى، وقرأ الباقون بكسر الخاء على الأمر، وهنا ينبني خلاف الفقهاء في الصلاة خلف المقام هل هي سنة أم واجبة؟

٣. قوله تعالى: (وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ) (النساء: ٤٣)، وفيها قراءتان متواترتان: الأولى بغير ألف (لمستم)، والأخرى بالمد (لامستم) وهنا يختلف الفقهاء في المعنى المراد من اللمس هل هو المباشرة أو الجماع؟ وهل المباشرة دون الجماع ناقضة للوضوء؟

أثر القراءات في علم النحو:

اختلف موقف النحاة من القراءات فمنهم من استشهد بها ومنهم من انتقد بعضًا منها إن خالفت قواعده وأقيسته، والحق أن القراءة الثابتة حجة في نفسها تؤخذ منها اللغة، وتبنى عليها، قال الإمام الداني رحمه الله: (وأئمة القراءة لا تعمل في شيء من حروف القرآن على الأفشى في اللغة والأقيس في العربية، بل على الأثبت في الأثر، والأصح في النقل، وإذا ثبتت الرواية لم يردها قياس عربية، ولا فشو لغة؛ لأن القراءة سنة متبعة يلزم قبولها والمصير إليها).

ومن مظاهر تأثر النحو بالقراءات:

١. بناء قواعد عامة مأخوذة من القراءات، مثل قاعدة نصب الفعل المضارع المقترن بفاء السببية بعد الرجاء، وقد أخذت من قراءة حفص لقوله تعالى: (لعلي أبلغ الأسباب أسباب السموات فأطلع إلى إله موسى) (فاطر: ٣٦-٣٧)، بنصب (أطلع)، وقاعدة جواز الوقف على الاسم المنقوص بإثبات الياء، وقد أخذت من قراءة ابن كثير لقوله تعالى (وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ) (الرعد: ٧) بإثبات الياء وقفًا.

٢. تأييد القراءات لقواعد نحوية، مثل قاعدة رفع الفعل المضارع الدال على الحال بعد (حتى)، وقد أيدتها قراءة نافع لقوله تعالى (وَزُلْزِلُوا حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ) (البقرة ٢١٤) برفع (يقول).

٣. قراءات ترتبت عليها وجوه إعرابية في الآية الواحدة، مثل قوله تعالى (وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ) (البقرة: ٢١٩)، قرأ أبو عمرو برفع (العفو) على أنه خبر لمبتدأ محذوف، والتقدير: الذي تنفقونه العفو، وقرأ الباقون بنصب (العفو) على أنه مفعول به، وتقدير الكلام: يسألونك أي شيء ينفقون، قل ينفقون العفو.

علم توجيه القراءات:

وهو علم غايته بيان وجوه القراءات ومعرفة مستندها من اللغة ورد الاعتراضات التي يوردها بعض علماء اللغة، وله مصطلحات مترادفة مثل التعليل، والتخريج، والتأويل، والإيضاح.

وكانت مسائل هذا العلم منثورة في كتب اللغة والتفسير ومعاني القرآن، وكان لابن جرير الطبري دور كبير في تتبع القراءات في تفسيره والاحتجاج لها وبيان معانيها، ثم أفردت مصنفات في هذا العلم منها: كتاب الحجة للقراء السبعة لأبي علي الفارسي، والكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها لمكي بن أبي طالب، والحجة لابن خالويه، وحجة القراءات لابن زنجلة، والموضح في القراءات الثماني وعللها لابن أبي مريم الشيرازي.

وللحديث بقية إن شاء الله، ونسأل الله أن يفقهنا في ديننا ويصلح أحوالنا أجمعين.

شبهات حول القراءات

إعداد/ د. أسامة صابر

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

فلا يزال الحديث متصلاً عن مباحث في علوم القراءات، وفي هذا العدد نتناول بعض الشبهات حول القراءات، فنقول وبالله تعالى التوفيق:

قال تعالى: « هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۘ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ » (آل عمران: ٧).

وعليه سنعرض في هذه الحلقة بعض الشبهات التي يثيرها المستشرقون وأعداء الإسلام حول القراءات.

١ - شبهة التعارض والتناقض بين القراءات:

وللرد عليها نقول: إن ما تواتر واشتهر من القراءات لا يعدو الاختلاف بينها نوعين:

الأول: أن تختلف القراءتان في اللفظ وتتفقا في المعنى ويرجع ذلك إلى:

أ- اختلاف اللغات: مثل قراءة (الصراط) بالصاد والسين، وقراءة (البخل) بضم الباء وسكون الخاء، وبفتح الباء والخاء. والحكمة في ذلك تيسير التلاوة على ذوي اللغات المختلفة.

ب- وجود وجهين أو وجوه تقع في فصيح الكلام، وهذا وارد في كلام العرب فإنهم يعنون بالمعاني ويأتون بالألفاظ على وجوه ما دام المعنى الذي يقصد بالخطاب مستقيمًا.

مثال ذلك قوله تعالى: « مَا نُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ » (الحجر: ٨)؛ قرئ بنونين مع كسر الزاي ونصب (الملائكة) على الإخبار من الله عز وجل؛ لأن كل شيء بإرادته، وقرئ بتاء مفتوحة مكان النون مع رفع (الملائكة) على أنه فعل سمي فاعله، وأضيف الفعل إلى الملائكة؛ لأنها تتنزل بعد أمر الله لها بالنزول، وقرئ بضم التاء مع رفع (الملائكة) على أنه فعل لم يسم فاعله؛ لأن الملائكة لا تنزل من عند نفسها، وإنما يُنزلها الله عز وجل.

مثال آخر: وهو من لطائف إعراب القرآن: قوله تعالى: (وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ) (فصلت: ١٠)، قرئ (سواء) بالرفع والنصب والجر: فأما قراءة الرفع فعلى أنه خبر المبتدأ مضمر أي: هي سواء، والنصب على المصدر بفعل مقدر، أي: استوت استواء أو على الحال من ضمير(أقواتها)، والجر على النعت لأيام أو لأربعة أي في (أربعة أيام مستوية تامة).

الثاني: أن تختلف القراءتان في اللفظ والمعنى معًا مع صحة المعنيين كليهما، فلا يكونان متناقضين ولا متعارضين

مثال ذلك قوله تعالى: (فَقَالُوا۟ رَبَّنَا بَٰعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا) (سبأ: ١٩) قرئ بنصب (ربنا) على النداء، و(باعد) بالألف وكسر العين وسكون الدال، و(بعُد) بكسر العين المشددة بلا ألف ومعنى الكلام: فعل طلب اجتراء منهم وبطرًا، وقرئ (ربنا) بضم الباء على الابتداء، و(باعد) بالألف وفتح العين والدال خبر على أنه شكوى منهم لبعد سفرهم إفراطًا في الترفه وعدم الاعتداد بنعم الله عليهم.

وحكمة هذا النوع أن تكون الآية بمنزلة آيتين وردتا لإفادة المعنيين جميعًا.

وأما تضاد المعاني وتضارب الأهداف فلا وجود له في القرآن، قال تعالى: «وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا » (النساء: ٨٢).

قال ابن قتيبة في (تأويل مشكل القرآن): "أما اختلاف التضاد فلا يجوز، ولست واجده بحمد الله في شيء من القرآن إلا في الأمر والنهي من الناسخ والمنسوخ، وأما اختلاف التغاير فهو جائز".

٢ - شبهة أن القراءات نشأت بسبب خلو خط المصحف من الشكل والنقط:

فالكلمات القرآنية كتبت في المصاحف مجردة عن النقط الذي يدل على ذات الحرف،

ومن الشكل الذي يدل على موقع الكلمة من الإعراب، فيزعمون أن كل قارئ كان يختار ما يراه في نظره مناسبًا، والجواب على هذه الشبهة من وجوه:

أولاً: القراءات مردها الرواية، ومرجعها السماع ولا دخل لأحد من البشر في ذلك، وليست خاصية الخط العربي مدعاة إلى تنوع القراءات، وفي قصة عمر بن الخطاب مع هشام ابن حكيم ما يبين ذلك، في صحيح البخاري (٥٠٤٣) عن عمر رضي الله عنه قال: سمعت هشام بن حكيم بن حزام يقرأ سورة الفرقان في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستمعت لقراءته، فإذا هو يقرأ على حروف كثيرة لم يُقرئنيها رسول الله صلى الله عليه وسلم، فكدت أساوره في الصلاة فتصبرت حتى سلم، فلببته بردائه، فقلت: من أقرأك هذه السورة التي سمعتك تقرأ؟ قال: أقرأنيها رسول الله صلى الله عليه وسلم. فقلت: كذبت؛ فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أقرأنيها على غير ما قرأت. فانطلقت به أقوده إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت: إني سمعت هذا يقرأ بسورة الفرقان على حروف لم تقرئنيها. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أرسله! اقرأ يا هشام، فقرأ عليه القراءة التي سمعته يقرأ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه: كذلك أنزلت، ثم قال: اقرأ يا عمر فقرأت القراءة التي أقرأني، فقال رسول الله صلى الله عليه: كذلك أنزلت؛ إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقرءوا ما تيسر منه".

ثانيا: لما كتبت المصاحف في عهد عثمان رضي الله عنه أرسل مع كل مصحف عالمًا يعلّم الناس القراءة بما تلقاه عن النبي صلى الله عليه وسلم، والمقصود من ذلك تقييد ما يحتمله الرسم بالمنقول تواترًا.

ثالثًا: في القرآن كلمات تكررت وكُتبت برسم واحد، ولم يحصل اختلاف القراء إلا في مواضع منها، مثال ذلك كلمة (ملك) رسمت برسم واحد في سورة الفاتحة (ملك يوم الدين)، وفي آل عمران (قل اللهم ملك الملك)، وفي سورة الناس (ملك الناس)، واختلف القراء في موضع الفاتحة فقط.

مثال آخر: فعل (يحزن) قرأه نافع حيث وقع في القرآن بضم الياء وكسر الزاي إلا في موضع الأنبياء (لا يحزنهم الفزع الأكبر)، فقرأه بفتح الياء وضم الزاي، وبعكس هذا قرأ أبو جعفر، فدل ذلك على أن الأصل هو التلقي وليس الرسم المجرد.

٣- شبهة وجود اللحن في بعض القراءات:

وهم لجهلهم بلغة العرب يدّعون هذا على القرآن الذي نزل بلسان عربي مبين، فينتقدون مثلاً قراءة ﴿إِنْ هَٰذَانِ لَسَٰحِرَانِ﴾ (طه: ٦٣) بتشديد النون في (إن) ومجيء (هذان) بالألف مع أن هذه القراءة ثابتة صحيحة وأتت عل وجه فصيح، وهو لغة لبني الحارث بن كعب وغيرهم؛ يلفظون بالمثنى بألف على كل حال، فيقولون جاء الزيدان، ورأيت الزيدان، ومررت بالزيدان، وأنشد النحويون في ذلك قول الشاعر: (تزود منا بين أذناه طعنة).

وينتقدون قراءة حمزة لقوله تعالى: ﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ﴾ (فاطر: ٤٣) بإسكان الهمزة في (السيئ) مع أن الجزم لا يدخل الأسماء، قال مكي بن طالب مبينًا وجه هذه القراءة: (وحجة من أسكن أنه استثقل كسرة على ياء مشددة فهي مقام كسرتين، والكسرة ثقيلة وهي على الياء المشددة أثقل، ثم كسرة على همزة والكسر على الهمز ثقيل أيضًا مع ثقل الكسر في نفسه فاجتمع أشياء ثقيلة فأسكن الهمزة استخفافًا)، وقد احتج بعض النحويين لحمزة بقول الشاعر:

فاليوم أشرب غير مستحقب

إثما من الله ولا واغل

فذكر (أشرب) بسكون الباء

ولا ينبغي أن يظن بحمزة رحمه الله أنه فعل ذلك عن رأي من عند نفسه؛ فإنه لم يقرأ حرفًا إلا بأثر، وما من قراءة من القراءات إلا ولها وجه من العربية فصيحًا كان أو أفصح.

وللحديث بقية إن شاء الله،

والحمد لله رب العالمين.

الإمام نافع المدني وراوياه قالون وورش

إعداد: د. أسامة صابر

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فمن حفظ الله عز وجل لكتابه الكريم أن هيَّأ له أئمة أعلامًا أقاموا حدوده وحروفه، قال الإمام الشاطبي رحمه الله:

جزى الله بالخيرات عنا أئمة
لنا نقلوا القرآن عذبًا وسلسلاَ

ثم أثنى على القراء السبعة وعلى الرواة عنهم فقد أضاؤوا سبل الهدى وتخيرهم النقاد لإتقانهم وورعهم

فمنهم بدور سبعة قد توسطت
سماء العلا والعدل زهرا وكملا
لها شهب عنها استنارت فنورت
سواد الدجى حتى تفرق وانجلى
وسوف تراهم واحدًا بعد واحد
مع اثنين من أصحابه متمثلا
تخيرهم نقادهم كل بارع
وليس على قرآته متأكلا

وسوف نذكر- بعون الله- شيئًا من تراجمهم على ترتيب الإمام الشاطبي لهم.

ونبدأ بحبر القرآن الإمام نافع المدني:

وهو نافع بن عبد الرحمن بن أبي نُعيم الليثي مولاهم، الإمام المقرئ المدني، اختُلف في كنيته فقيل أبو رويم (وهو الأشهر)، وأبو عبد الرحمن، وأبو الحسن، وأبو عبد الله.

شيوخه في القراءة:

قال: قرأت على سبعين من التابعين، وقال الذهبي: قد اشتهرت تلاوته على خمسة: عبد الرحمن بن هرمز الأعرج صاحب أبي هريرة، وأبي جعفر يزيد بن القعقاع (أحد العشرة)، وشيبة بن نصاح، ومسلم بن جندب الهذلي، ويزيد بن رومان، وحمل

هـؤلاء عن أصحاب أبـي بن كعب، وزيـد بن ثابت، وعمر، رضي الله عنهم.

قرأ عليه: مالك، واسماعيل بن جعفر، وعيسى بن وردان، والليث بن سعد، والواقدي، ويعقوب بن إبراهيم بن سعد، وعيسى بن مينا (قـالـون)، وعثمان بن سعيد (ورش)، واسماعيل بن أبي أويس.

روايته للحديث: هو قليل الحديث مع أنه روى عن نافع عن ابن عمر، وعن الأعرج عن أبي هريرة، وجماعة، ولكنه تصدى للإقراء ولم يخرج له شيء في الكتب الستة، وحديثه في رتبة الحسن.

صفاته:

كان أسود اللون حالكًا، وأصله من أصبهان، وكان صاحب دعابة وطيب خلق.

مولده: وُلد في خلافة عبد الملك بن مروان سنة سبعين.

فضائله:

كـان إمـام المسجد النبوي، وانتهت إليه الإمامة في الإقراء بالمدينة بعد أبي جعفر، وقال الذهبي: نافع معدود من صغار التابعين، وتـذكـر في مناقبه قصة مشهورة في كتب القراءات والسير أن رجلا ممن قرأ عليه قال: إن نافعًا كان إذا تكلم يشم منه رائحة المسك، فقال له: يا أبا عبد الله أو يا أبا رويم أتتطيب كلما قعدت تقرئ؟ قال: ما أمس طيبًا، ولكني رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في النوم وهو يقرأ في القرآن فمن ذلك الوقت أشم من في هذه الرائحة، وإلى ذلك أشار الشاطبي حين قال:

فأما الكريم السر في الطيب نافع
فذاك الذي اختار المدينة منزلا

قـال الإمـام الذهبي: لا تثبت هذه الحكاية من جهة جهالة راويها.

ويكفي في بيان قدره وعظم شأنه أن مالكا رحمه الله أخذ عنه، وكان يصلي وراءه، وأخذ هو عن مالك الموطأ.

وقال نافع رحمه الله: والله ما قرأت حرفًا إلا بأثر.

وقال: جلست إلى نافع مولى عبد الله بن عمر، واقتبست منه العلم ومالك من الصبيان.

ذكر الهذلي في "الكامل" عن أبي دحية قال: خرجت بكتاب الليث بن سعد إلىٰ نافع فوجدته يقرئ الناس بجميع القراءات، فقلت: سبحان الله يا نافع أتقرئ الناس بجميع القراءات؟ فقال: أو أحرم نفسي الثواب، أنا أقرئ الناس بجميع القراءات حتى إذا جاء من يطلب حرفًا أقرأته به.

وجاء في "الكامل" أن الرشيد سأله أن يصلي به لما قدم المدينة التراويح وله بكل ليلة مائة دينار، فشاور مالكًا- رحمة الله عليهما- فقال له: إن الله يعطيك المائة من فضله، وأنت إمام فربما يجري على لسانك شيء؛ لأن القرآن معجز، وأنت محترم، فلا تُعَاود في ذلك لاعتماد الناس عليك، فتسير به الركبان فتسقط، ومعنى ذلك أن مالكًا رحمه الله خشي عليه أن يزل لسانه في التلاوة بخطأ ولن يرده الناس لهابته فيحمل عنه ذلك ويكون هذا سببًا للقدح فيه.

ثناء العلماء عليه:

قال مالك: قراءة نافع سنة، وقال لمن سأله عن البسملة: سلوا عن كل علم أهله ونافع إمام الناس في القراءة.

وقـال عـبـد الله بن أحـمـد بـن حنـبـل: سألت أبي أي قراءة أحـب إلـيـك؟ قـال: قراءة أهل المدينة، فإن لم تكن فقراءة عاصم.

وقدم الليث بن سعد المدينة فوجد نافعًا إمام

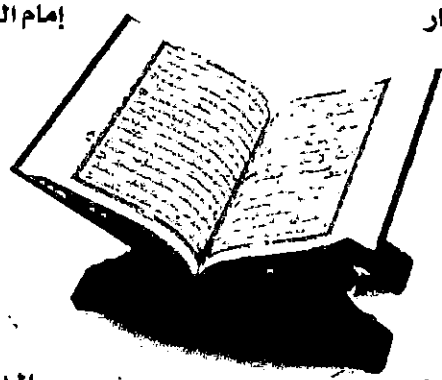

الناس في القراءة لا ينازع.

قال ابن مجاهد: وكان الإمام الذي قام بالقراءة بعد التابعين بمدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان عالمًا بوجوه القراءات، متبعًا لآثار الأئمة الماضين.

وقال قالون: كان نافع من أطهر الناس خلقًا، ومن أحسن الناس قراءة، وكان زاهدًا جوادًا، صلى في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم ستين سنة، وقال: ما قرأ نافع آية ولا أقرأها إلا على طهارة.

من أقواله:

إن هذا القرآن لعظيم، جاء من عند عظيم، فإذا قرأت فلا تشتغلن بغيره، وانظر من تخاطب، وإياك أن تمل منه أو تؤثر عليه غيره فإني لم أزل أتردد إلى الأعرج حتى قلت: حسبي منك.

وفاته:

لما حضرته الوفاة قال له أبناؤه: أوصنا، قال: (اتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم وأطيعوا الله ورسوله إن كنتم مؤمنين)، مات سنة تسع وستين ومائة، وكان من أبناء التسعين رحمه الله.

وقد حظي بشرف التعلم على يديه رواة كثر أبرزهم قالون وورش، قال الشاطبي رحمه الله:

وقالون عيسى ثم عثمان ورشهم
بصحبته المجد الرفيع تأثلا

ثانيًا: قالون:

وهو عيسى بن مينا بن وردان بن عيسى أبو موسى الزرقي الزهري، مولاهم المدني المقرئ النحوي.

قيل إنه كان ربيب نافع، وهو الذي لقبه قالون لجودة قراءته، وقالون لفظة رومية، معناه جيد، وقال له نافع: اجلس إلى الأسطوانة حتى أرسل إليك من يقرأ عليك.

كان شديد الصمم، وكان ينظر إلى شفتي القارئ فيرد عليه اللحن والخطأ، ولعل هذا الصمم عرض له بعد كبر سنه، وقيل كان لا يسمع البوق، وإذا قرئ القرآن عليه يسمعه، والله أعلم.

قرأ عليه خلق كثير منهم: ولداه أحمد وإبراهيم، وأحمد بن يزيد الحلواني، ومحمد بن هارون أبو نشيط، وأحمد بن صالح المصري. مات سنة عشرين ومائتين عن نيف وثمانين سنة.

ثالثًا: ورش:

وهو عثمان بن سعيد بن عبد الله بن عمرو بن سليمان، ويكنى أبا سعيد، شيخ القراء بمصر، ولقبه نافع بورش لشدة بياضه، ويقال لقبه بالورشان، وهو طائر معروف، ثم خفف وقيل ورش، وكان يعجبه هذا اللقب، ويقول: أستاذي نافع سمَّاني به.

ولد سنة عشر ومائة، وكان أزرق سمينًا مربوعًا، وكان حسن الصوت، لا يمله سامعه، وكان إمامًا في العربية.

قرأ عليه: أحمد بن صالح، وأبو يعقوب الأزرق، ويونس بن عبد الأعلى، وغيرهم.

رحل من مصر إلى المدينة ليقرأ على نافع، وكان يبيت بمسجد النبي صلى الله عليه وسلم ينتظر نافعًا ليقرأ عليه عند الفجر، فيقرأ كل مرة خمسين آية حتى ختم عليه ختمات.

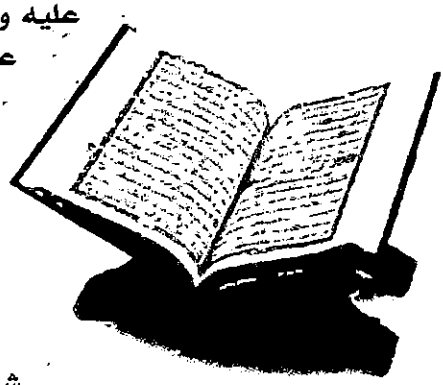

توفي بمصر في سنة سبع وتسعين ومائة.

وللحديث بقية إن شاء الله.

باب القراءات القرآنية

تراجم أئمة القراءات

د/أسامة صابر

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

فلا يزال الحديث متصلاً عن تراجم علماء القراءات، فنقول وبالله تعالى التوفيق:

الإمام ابن كثير (٤٥-١٢٠هجرية):

هو عبد الله بن كثير بن عمرو بن عبد الله بن زاذان بن فيروز بن هرمز الإمام أبو معبد الكناني المكي المقرئ، إمام المكيين في القراءة، مولى عمرو بن علقمة الكناني.

وابن كثير المقرئ غير ابن كثير صاحب التفسير المشهور، واسمه إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي الحافظ عماد الدين أبو الفداء.

قال عنه الإمام الشاطبي رحمه الله:

ومكة عبد الله فيها مقامه

هو ابن كثير كاثر القوم معتلا

وعني بالقوم القراء السبعة، وأراد أنه سبقهم بلزومه مكة، وهي أفضل البقاع عند أكثر العلماء، وبقراءته على صحابي وهو عبد الله بن السائب المخزومي، وهو الذي بعثه عثمان رضي الله عنه بمصحف إلى أهل مكة لما كتب المصاحف وسيرها إلى الأمصار، وأمره أن يقرئ الناس بمصحفه، فكان ممن قرأ عليه عبد الله بن كثير.

أصله فارسي، وكان داريًا بمكة، والداري هو العطار، وقيل في نسبته الداري انه من بني عبد الدار، وقيل نسبوه إلى دارين، وهو موضع بالبحرين يؤتى منه الطيب.

قرأ على مجاهد، ودرباس مولى ابن عباس.

قال عنه الإمام مسلم بن الحجاج: «هو من الطبقة الثانية من التابعين».

لقي من الصحابة عبد الله بن الزبير، وأبا أيوب الأنصاري، وأنس بن مالك رضي الله عنهم.

وقرأ عليه خلق منهم شبل بن عباد، وأبو عمرو بن العلاء، وإسماعيل بن عبد الله بن قسطنطين المعروف بالقسط، وابن جريج، والخليل بن أحمد، وقرة بن خالد.

نقل الإمام الشافعي قراءته، وأثنى عليها، وقرأ على صاحبه إسماعيل بن قسطنطين قارئ أهل مكة، وقال: «قراءتنا قراءة عبد الله بن كثير، وعليها وجدت أهل مكة، ومن أراد التمام فليقرأ لابن كثير».

صفاته: كان فصيحًا بليغًا مفوهًا، أبيض اللحية، طويلاً جسيمًا، أسمر، يخضب بالحناء،

عليه سكينة ووقار، انتهت إليه الإمامة بمكة، وعاش خمسًا وسبعين عامًا.

كان واعظًا يقص على الناس، وإذا أراد أن يقرئ أصحابه جمعهم ووعظهم، ثم قال: إنما أفعل هذا حتى تتقدموا إلى تلاوة القرآن بقلوب خاشعة، ونفوس خاضعة، وعيون دامعة.

وكان يخرج إلى حر الرمضة فيقلب وجهه وخديه فيها، ثم يقول: «يا ليتني خرجت من هذا الأمر كفافًا لا لي ولا علىَّ»!!

قال الأصمعي: قلت لأبي عمرو بن العلاء البصري: «قرأت على ابن كثير؟ قال: نعم ختمت على ابن كثير بعد ما ختمت على مجاهد، وكان أعلم بالعربية من مجاهد».

البزي (١٧٠-٢٥٠هـ):

هو الإمام أبو الحسن أحمد بن محمد بن عبد الله بن القاسم بن نافع بن أبي بزة المكي، مقرئ أهل مكة ومؤذن المسجد الحرام، من موالي بني مخزوم.

قال البخاري: اسم أبي بزة بشار، مولى عبد الله بن السائب المخزومي، وأبو بزة فارسي وقيل حمداني.

قرأ على عكرمة بن سليمان، وعبد الله بن زياد عن إسماعيل بن عبد الله القسط عن ابن كثير، فروايته عن ابن كثير بواسطة.

أذن بالحرم أربعين سنة، وأقرأ الناس بالتكبير من (والضحى) إلى ختام القرآن.

قال عنه ابن الجزري: كان البزي إمامًا في القراءة، محققًا، ضابطًا، متقنًا لها، ثقة فيها، انتهت إليه مشيخة الإقراء بمكة.

من أقواله:

قال: سمعت مؤمل بن إسماعيل يقول: «القرآن كلام الله ليس بمخلوق، قال ابن أبي بزة: فمن قال مخلوق فهو على غير دين الله ودين رسوله صلى الله عليه وسلم حتى يتوب».

قنبل (١٩٥-٢٩١هـ):

هو محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن خالد ابن سعيد بن جرحة الإمام أبو عمر المخزومي مولاهم- المكي- المقرئ.

لقب بقنبل قيل لأنه كان يستعمل دواء يسمى قنبيل، فلما أكثر استعماله عُرِفَ به، ثم خفف وقيل له قنبل، وقيل بل هو من قوم يقال لهم القنابلة، وقيل لقب بذلك لشدته، والقنبل: الغليظ الشديد.

قرأ على أبي الحسن القواس، عن أبي الإخريط وهب بن واضح، عن إسماعيل، عن شبل ومعروف بن مشكان عن ابن كثير؛ فروايته عن ابن كثير بواسطة، وأخذ عن البزي أيضًا.

وتلا عليه ابن مجاهد، وأبو الحسن بن شنبوذ.

ولي شرطة مكة فحُمِدَت سيرته، ثم إنه طعن في السن وقطع الإقراء قبل موته بسبع سنين.

قال ابن الجزري: كان قنبل إمامًا في القراءة، متقنًا، ضابطًا، انتهت إليه مشيخة الإقراء بالحجاز، ورحل إليه الناس من الأقطار.

أبو عمرو بن العلاء البصري

وراوياه الدوري والسوسي:

أبو عمرو بن العلاء الإمام الكبير المازني البصري المقرئ النحوي، شيخ القراء بالبصرة. اختُلف في اسمه على أقوال أصحها زبّان. ولد سنة ثمان وستين وقيل سنة سبعين.

اخذ القراءة عن أهل الحجاز وأهل البصرة، عرض بمكة على مجاهد، وسعيد بن جبير، وعطاء، وعكرمة بن خالد، وابن كثير، وغيرهم، وبالمدينة على أبي جعفر، ويزيد بن رومان، وشيبة بن نصاح، وعرض بالبصرة على يحيى بن يعمر، ونصر بن عاصم، والحسن، وغيرهم.

قرأ عليه خلق كثير منهم: يحيى بن المبارك اليزيدي، وعبد الوارث التنوري، وشجاع البلخي، وابن المبارك، ويونس بن حبيب النحوي، وغيرهم.

من أخلاقه:

كان أبو عمرو لا يؤم، فاضطر يومًا حتى قُدِّمَ إلى الصلاة، فقال للناس: استووا فغشي عليه، فما زال الدم يخرج من حلقه، فقيل له في ذلك، فقال: نعم، ما قلت لكم استووا وقع بقلبي في الله خاطر كأنه يقول: عبدي استويت لي طرفة عين حتى تقول لخلقي استووا.

قال الأصمعي: لقيني أبو عمرو فأخذت بيده

لأقبلها فسبقني فقبل يدي، ثم قال: أنت أحق بهذا.

من أقواله:

من عرف فضل من فوقه عرف له من دونه، ومن جَحَد جُحِدَ.

إنما نحن فيمن مضى كبقل في أصول نخل طوال.

خذ الخير من أهله، ودع الشر لأهله.

لقد حفظت في علم القرآن أشياء لو كتبت لما قدر الأعمش على حملها.

قال للأصمعي: كن على حذر من الكريم إذا أهنته، ومن اللئيم إذا أكرمته، ومن العاقل إذا أحرجته، ومن الأحمق إذا مازحته، ومن الفاجر إذا عاشرته، وليس من الأدب أن تجيب من لا يسألك، أو تسأل من لا يجيبك، أو تحدث من لا ينصت لك.

ثناء العلماء عليه:

قال أبو عبيدة: كان أبو عمرو أعلم الناس بالقرآن، والعربية، وأيام العرب والشعر، وأيام الناس، وكان يختم كل ثلاث. وقال: كانت دفاتر أبي عمرو ملء بيت إلى السقف.

قال إبراهيم الحربي: كان أبو عمرو بن العلاء من أهل السنة.

وقال وهب بن جرير: قال لي شعبة تمسك بقراءة أبي عمرو، فإنها ستصير للناس إسنادًا.

مات رحمه الله بالكوفة سنة ١٥٤هـ.

روى عنه الدوري والسوسي بواسطة يحيى بن المبارك اليزيدي.

الدوري:

هو حفص بن عمر بن عبد العزيز بن صهبان، ويقال صهيب بدل صهبان، الإمام المقرئ أبو عمر الدوري الأزدي النحوي البغدادي الضرير، والدور المنسوب إليها هي محلة بالجانب الشرقي من بغداد.

قرأ القرآن على إسماعيل بن جعفر، وعلى الكسائي، ويحيى اليزيدي، وسُليم، وأبي عمارة حمزة بن القاسم الأحول صاحب حمزة الزيات، وسمع الحروف من أبي بكر بن عياش.

وقرأ عليه أحمد بن يزيد الحلواني، وأبو الزعراء عبد الرحمن بن عبدوس، وأحمد بن فرح المفسِّر، وأحمد بن حرب شيخ المطوعي، وغيرهم.

قال ابن الجزري: هو أول من جمع القراءات.

قال أبو علي الأهوازي: رحل الدوري في طلب القراءات، وقرأ بسائر الحروف السبعة وبالشواذ، وسمع من ذلك شيئًا كثيرًا، وهو ثقة في جميع ما يرويه، وعاش دهرًا، وذهب بصره في آخر عمره، وكان ذا دين وخير.

قال أبو داود: رأيت أحمد بن حنبل يكتب عن أبي عمر الدوري.

وقال أحمد بن فرح الضرير: سألت الدوري: ما تقول في القرآن؟ قال: كلام الله غير مخلوق.

توفي سنة ٢٤٨هـ، وقيل ٢٤٦هـ.

السوسي:

هو صالح بن زياد بن عبد الله بن إسماعيل بن إبراهيم بن الجارود بن مسرح، أبو شعيب الرقي السوسي نسبة لموضع بالأهواز.

قرأ القرآن على يحيى اليزيدي وممن قرأ عليه ابنه أبو معصوم، وموسى بن جرير النحوي، وأخذ عنه الحروف أبو عبد الرحمن النسائي.

قال أبو بكر المروزي: أخبرت أبا عبد الله بن حنبل أن أبا شعيب السوسي زوج بنته رجلاً، فلما وقف في القرآن فرَّق بينه وبين بنته، وقد كان شاور أبا جعفر النفيلي فأمره أن يفرِّق بينهما، فقال أحمد: أحسن السوسي، عافاه الله.

توفي رحمه الله سنة ٢٦١ وقد قارب التسعين.

وللحديث بقية إن شاء الله، والحمد لله رب العالمين.

تعقيب على مقالة (شبهات حول القراءات) المنشورة في عدد ذي القعدة

في قول الله تعالى: «اسْتِكْبَارًا فِي الْأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ» (سورة فاطر: ٤٣)، قرأ حمزة (ومكر السيء) بإسكان الهمزة وصلاً، وقرأ الباقون بكسرها، وأما كلمة (السيء) الثانية في قوله تعالى: «وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ»، فلا خلاف في رفع الهمز بين القراء. والله أعلم.

باب القراءات القرآنية

تراجم أئمة القراءات

الحلقة الثالثة

د/أسامة صابر

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

فلا يزال الحديث متصلاً عن ترجمة أئمة القراءات، فنقول وبالله تعالى التوفيق:

الإمام ابن عامر الدمشقي:

هو عبد الله بن عامر بن يزيد بن تميم؛ أبو عمران اليحصبي الدمشقي، إمام الشاميين في القراءة، وهو ثابت النسب إلى يحصب بن دهمان، بطن من حمير، وحمير من قحطان فهو عربي صريح.

مولده:

قيل: ولد عام الفتح، واستبعد الإمام الذهبي ذلك، وصحح ما قاله تلميذه يحيى بن الحارث الذماري: إن مولده سنة إحدى وعشرين.

شيوخه:

أخذ القراءة عن المغيرة بن أبي شهاب المخزومي صاحب عثمان، وأبي الدرداء، ومعاوية، وواثلة بن الأسقع، وفضالة بن عبيد، وقيل سمع قراءة عثمان وهو محتمل، وقيل قرأ عليه بعض القرآن وهو ممكن.

قال ابن عامر: لقيت واثلة بن الأسقع فقلت له: بايعت بيدك هذه رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقال: نعم فقبلتها.

أخذ القراءة عنه: يحيى بن الحارث الذماري، وهو الذي خلفه في القيام بها، وربيعة بن يزيد، وجعفر بن ربيعة، وإسماعيل بن عبيد الله بن أبي المهاجر، وخلاد بن يزيد بن صبيح المري، ويزيد بن أبي مالك.

من المناصب التي تولاها: ولي قضاء دمشق بعد أبي إدريس الخولاني، وكان على بناء مسجد دمشق زمن الوليد، وكان رئيس المسجد لا يرى فيه بدعة إلا غيَّرها.

ثناء العلماء عليه:

قال الإمام الشاطبي-رحمه الله-:

وأما دمشق الشام دار ابن عامر

فتلك بعبد الله طابت محلاً

أي: عظم شأن دمشق بابن عامر وطاب نزولها لأخذ القراءة عنه.

وقال ابن الجزري عنه: وكان إمامًا كبيرًا وتابعيًا جليلاً، وعالمًا شهيرًا، أمَّ المسلمين بالجامع الأموي سنين كثيرة في أيام عمر بن عبد العزيز وقبله وبعده، فكان يأتم به وهو أمير المؤمنين وناهيك بذلك منقبة، وجمع له بين الإمامة والقضاء ومشيخة الإقراء بدمشق، ودمشق إذ ذاك دار الخلافة ومحط رحال العلماء والتابعين، فأجمع الناس على قراءته وعلى ناقليها بالقبول وهم الصدر الأول الذين هم أفاضل المسلمين.

وقال: وأما طعن ابن جرير فيه فهو مما عُدَّ من سقطات ابن جرير، حتى قال السخاوي: «قال لي شيخنا أبو القاسم الشاطبي: إياك وطعن الطبري على ابن عامر».

وقال في النشر: ولقد بلغنا عن هذا الإمام أنه كان في حلقته أربعمائة عريف يقومون عنه بالقراءة، ولم يبلغنا عن أحد من السلف-رضي الله عنهم- على اختلاف مذاهبهم وتباين لغاتهم وشدة ورعهم أنه أنكر على ابن عامر شيئًا من قراءته، ولا طعن فيها، ولا أشار إليها بضعف ولقد كان الناس بدمشق وسائر بلاد الشام حتى الجزيرة الفراتية وأعمالها لا يأخذون إلا بقراءة ابن عامر، ولا يزال الأمر كذلك إلى حدود الخمسمائة.

وقال أبو علي الأهوازي: «كان عبد الله بن عامر إمامًا عالمًا ثقة فيما أتاه حافظًا لما رواه، متقنًا لما وعاه، عارفًا فَهِمًا قيمًا فيما جاء به صادقًا فيما نقله من أفاضل المسلمين وخيار التابعين وأجلة الراوين لا يُتَّهم في دينه، ولا يُشك في يقينه، ولا يرتاب في أمانته، ولا يُطعَن عليه في روايته، صحيح نقله، فصيح قوله، عاليًا في قدره، مصيبًا في أمره، مشهورًا في علمه، مرجوعًا إلى فهمه، ولم يتعد فيما ذهب إليه الأثر ولم يقل قولاً يخالف فيه الخبر.

وفاته:

توفي بدمشق يوم عاشوراء سنة ١١٨هـ. ينظر في ترجمته في معرفة القراء الكبار برقم: ٣٦، وسير أعلام النبلاء: برقم ٣٢٣٦، والنشر (١/١٢١، ٢/٢٠١)، وغاية النهاية برقم ١٧٩٠.

هشام بن عمار الراوي عن ابن عامر:

اسمه: هشام بن عمار بن نصير بن ميسرة السلمي.

كنيته: أبو الوليد.

منزلته: شيخ أهل دمشق ومفتيهم وخطيبهم ومقرئهم ومحدثهم.

مولده: سنة ١٥٣هـ.

قرأ القرآن على: عراك بن خالد، وأيوب بن تميم، وغيرهما من أصحاب يحيى الذماري.

وقرأ عليه: أبو عبيد، وأحمد بن يزيد الحلواني، وهارون بن موسى الأخفش، وآخرون.

سمع الحديث من: مالك بن أنس، ومسلم بن خالد الزنجي، وإسماعيل بن عياش، والحكم بن هشام الثقفي، وعبد العزيز بن أبي حازم، وصدقة بن خالد، وسفيان بن عيينة، وغيرهم.

قصة طلبه للحديث على الإمام مالك:

قال محمد بن الفيض الغساني: سمعت هشامًا يقول: باع أبي بيتًا بعشرين دينارًا، وجهَّزني للحج فلما صرت إلى المدينة أتيت مجلس مالك ومعي مسائل، فأتيته وهو جالس في هيئة الملوك وغلمان قيام والناس يسألونه، وهو يجيبهم. فقلت: ما تقول في كذا، فقال: حصلنا على الصبيان، يا غلام احمله فحملني كما يُحمَل الصبي، وأنا يومئذ مدرك، فضربني بدرة مثل درة المعلمين سبع عشرة درة فوقفت أبكي، فقال: ما يبكيك أوجعتك هذه؟ قلت: إن أبي باع منزله ووجَّه بي، أتشرف بك وبالسماع منك، فضربتني، فقال: اكتب فحدثني سبعة عشر حديثًا، وأجابني عن المسائل.

وفي رواية أنه قال للإمام مالك: ظلمتني لا أجعلك في حل. فقال: ما كفارته؟ قلت: أن تحدثني بخمسة عشر حديثًا، فحدثني فقلت: زد من الضرب، وزد في الحديث فضحك، وقال: اذهب.

وحدث عنه: الوليد بن مسلم، ومحمد بن شعيب- وهما من شيوخه- ويحيى بن معين، والبخاري في صحيحه، وأبو داود، والنسائي، وابن ماجه في سننهم، وأخرج الترمذي عن رجل عنه، وممن حدث عنه محمد بن سعد، وأبو حاتم، وأبو زرعة، وبقي بن مخلد، وأبو بكر بن أبي عاصم، وأمم غيرهم.

ثناء العلماء عليه:

وثَّقه ابن معين، وقال النسائي: لا بأس به، قال الدراقطني: صدوق كبير المحل. وقال الذهبي: كان طلاَّبة للعلم منذ بلغ الحلم، واسع الرواية، من أوعية العلم. وقال محمد بن خريم: كان هشام فصيحًا مفوهًا.

وقال أبو علي أحمد بن محمد الأصبهاني المقرئ: كان هشام مشهورًا بالنقل والفصاحة والعلم والرواية والدراية رُزِقَ كبر السن وصحة العقل والرأي، فارتحل الناس إليه في القراءات والحديث.

وقال أحمد بن أبي الحواري: إذا حدثت في بلد فيها مثل أبي الوليد هشام بن عمار فيجب للحيتي أن تُحلَق.

من أقواله:

قال في خطبة له: قولوا الحق ينزلكم الحق منازل أهل الحق يوم لا يُقضى إلا بالحق.

وقال: ما أعدت خطبة منذ عشرين سنة.

وفاته: في آخر المحرم سنة ٢٤٥هـ.

ينظر ترجمته في: (معرفة القراء الكبار برقم ١٢٧، وسير أعلام النبلاء برقم ٦٥١٦).

ابن ذكوان الراوي عن ابن عامر:

اسمه: عبد الله بن أحمد بن بشير بن ذكوان البهراني الدمشقي:

كنيته: أبو عمرو وأبو محمد.

مولده: يوم عاشوراء سنة ١٧٣هـ.

قرأ على: أيوب بن تميم، وغيره.

وقال النقاش: قال ابن ذكوان: أقمت على الكسائي سبعة أشهر، وقرأت عليه القرآن غير مرة.

وقرأ عليه: ابنه أحمد، وهارون بن موسى الأخفش، ومحمد بن موسى الصوري، ومحمد بن القاسم الإسكندراني، وأحمد بن يوسف التغلبي، وجعفر بن محمد بن كزاز، وعبد الله بن مخلد الرازي، وغيرهم.

حدَّث عن: بقية بن الوليد، والوليد بن مسلم، ووكيع بن الجراح، وطائفة.

وحدَّث عنه: أبو داود، وابن ماجه في سننهما، وعبد الله بن محمد بن مسلم المقدسي، وخلق سواهم.

ثناء العلماء عليه:

قال أبو حاتم: صدوق.

وقال الذهبي: مقرئ دمشق، وإمام جامعها، وقال: بلغنا أن ابن ذكوان كان أقرأ من هشام بكثير، ولكن كان هشام أوسع علمًا من ابن ذكوان بكثير.

وقال أبو زرعة الدمشقي: لم يكن بالعراق ولا بالحجاز ولا بالشام ولا بمصر ولا بخراسان في زمان ابن ذكوان أقرأ عندي منه.

وفاته: سنة ٢٤٢هـ.

ينظر في ترجمته في: غاية النهاية في طبقات القراء لابن الجزري برقم ١٧٢٠، ومعرفة القراء الكبار برقم ١٢٨.

وللحديث بقية إن شاء الله، نسأل الله أن يجعلنا من أهل القرآن، وأن يرزقنا تلاوته آناء الليل وأطراف النهار على الوجه الذي يرضيه عنا.

تراجم أئمة القراءات

الإمام عاصم وراوياه شعبة وحفص

إعداد: د. أسامة صابر

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

فلا يزال الحديث متصلاً عن ترجمة أئمة القراءات، فنقول وبالله تعالى التوفيق:

الإمام عاصم:

هو عاصم بن أبي النَّجُود (بنون مفتوحة وجيم مضمومة) أبو بكر الأسدي مولاهم، إمام أهل الكوفة، واسم أبي النجود بهدلة، وهو اسم أبيه على الصحيح.

مولده: في إمرة معاوية بن أبي سفيان.

قرأ القرآن على أبي عبد الرحمن السلمي، وزر بن حبيش الأسدي، وهو معدود في صغار التابعين، وانتهت إليه الإمامة في القراءة بالكوفة بعد شيخه أبي عبد الرحمن.

وقرأ عليه خلق كثير منهم الأعمش، وأبان العطار، والحسن بن صالح، وأبو بكر بن عياش، وحفص بن سليمان.

حدث عنه من الكبار عطاء بن أبي رباح، وأبو صالح السمان، وأبو عمرو بن العلاء، وحمزة بن حبيب، والحمادان، والسفيانان، والخليل بن احمد وشعبة، وأبو عوانة الوضاح، وخلق، وحديثه مخرج في الدواوين الستة.

قال الإمام الذهبي في السير: "كان عاصم ثبتًا في القراءة، صدوقا في الحديث"، وقد وثقه أبو زرعة وجماعة، وقال أبو حاتم: محله الصدق، وقال الدار قطني: "في حفظه شيء" يعني: للحديث لا للحروف، وما زال في كل وقت يكون العالم إمامًا في فن مقصرًا في فنون، وكذلك كان صاحبه حفص بن سليمان ثبتًا في القراءة، واهيًا في الحديث، وكان الأعمش بخلافه كان ثبتًا في الحديث، لينًا في الحروف.

ثناء العلماء عليه:

قال أبو بكر بن عياش: "لما هلك أبو عبد الرحمن السلمي جلس عاصم يقرئ الناس، وكان عاصم أحسن صوتًا بالقرآن حتى كان في حنجرته جلاجل".

وقال: سمعت أبا إسحق يقول: ما رأيت أحدا أقرأ من عاصم بن أبي النجود.

وقال: قال لي عاصم: مرضت سنتين، فلما قمت قرأت القرآن فما أخطأت حرفًا.

وقال: كان عاصم نحويًا فصيحًا إذا تكلم، مشهور الكلام، وكان هو والأعمش وأبو حصين الأسدي لا يبصرون، جاء رجل يومًا يقود

عاصمًا فوقع وقعة شديدة، فما كهره ولا قال له شيئًا.

وقال: قال لي عاصم: من لم يحسن من العربية إلا وجهًا واحدًا لم يحسن شيئًا، ثم قال: ما أقرأني أحد حرفًا إلا أبو عبد الرحمن، وكان قد قرأ على عليّ رضي الله عنه، وكنت أرجع من عنده فأعرض على زر، وكان زر قد قرأ على عبد الله بن مسعود، فقلت لعاصم: لقد استوثقت.

وقال: كان عاصم إذا صلى ينتصب كأنه عود، وكان يمكث يوم الجمعة في المسجد إلى العصر، وكان عابدًا خيِّرًا أبدًا يصلي، ربما أتى حاجة، فإذا رأى مسجدًا قال: مِلْ بنا فإن حاجتنا لا تفوت، ثم يدخل فيصلي.

وقال: دخلت على عاصم، فأغمي عليه، فأفاق ثم قرأ قوله: (ثم ردُّوا إلى الله مولاهم الحق ألا له الحكم وهو أسرع الحاسبين)، فجعل يردد هذه الآية يحققها حتى كأنه في الصلاة، فعلمت أن القراءة منه سجية.

وقال حسن بن صالح: ما رأيت أحدًا قط أفصح من عاصم بن أبي النجود.

وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل: سألت أبي عن عاصم بن بهدلة فقال: رجل صالح خيِّر ثقة، فسألت أبي: أي القراءة أحب إليك؟ قال: قراءة أهل المدينة، فإن لم تكن فقراءة عاصم.

وقال أحمد بن عبد الله العجلي: عاصم صاحب سُنة وقراءة، كان رأسًا في القرآن، قدم البصرة فأقرأهم.

وقال سلمة بن عاصم: كان عاصم بن أبي النجود ذا نُسك وأدب وفصاحة وصوت حسن.

وقال حفص: قال لي عاصم ما كان من القراءة التي أقرأتك بها فهي القراءة التي قرأت بها على أبي عبد الرحمن السلمي عن علي، وما كان من القراءة التي أقرأتها أبا بكر بن عياش فهي القراءة التي كنت أعرضها على زر بن حبيش عن ابن مسعود.

وفاته: توفي سنة سبع أو ثمان وعشرين ومائة.

ومن أبرز الرواة عنه: شعبة وحفص.

قال الإمام الشاطبي رحمه الله:

فأما أبو بكر وعاصم اسمه

فشعبة راويه المبرز أفضلا

وذاك ابن عياش أبو بكر الرضا

وحفص وبالإتقان كان مفضلا

شعبة (٩٥-١٩٣هـ):

هو أبو بكر بن عياش بن سالم الأسدي مولاهم الكوفي، اختُلف في اسمه على ثلاثة عشر قولاً، أصحها شعبة.

قرأ القرآن ثلاث مرات وجوَّده على عاصم. قال: تعلمت من عاصم القرآن كما يتعلم الصبي من المعلم، فلقي مني شدة، فما أحسن غير قراءته. وقال: تعلمت من عاصم خمسًا خمسًا، ولم أتعلم من غيره، ولا قرأت على غيره، واختلفت إليه نحوًا من ثلاث سنين في الحر والشتاء والمطر.

وقرأ عليه أبو الحسن الكسائي، ويحيى العليمي، وأبو يوسف يعقوب الأعشى، وعبد الحميد بن صالح البرجمي، وغيرهم.

حدث عنه: ابن المبارك، وأبو داود الطيالسي، وأحمد بن حنبل، وأبو كريب، ومحمد بن عبد الله بن نمير، وخلق.

ثناء العلماء عليه:

قال الإمام الذهبي: كان سيدًا إمامًا ثقة، كثير العلم والعمل، منقطع القرين.

قال وكيع: هو العالم الذي أحيا الله به قرنه.

قال أحمد بن حنبل: ثقة ربما غلط، صاحب قرآن وخير.

قال ابن المبارك: ما رأيت أحدًا أسرع إلى السنة من أبي بكر بن عياش.

من أقواله: من زعم أن القرآن مخلوق فهو عندنا كافر زنديق عدو لله. لا نجالسه ولا نكلمه.

وقال: والله لو أعلم أحدًا يطلب الحديث

بمكان كذا وكذا أتيت منزله حتى أحدثه.

وقال للحسن بن الحسن بالمدينة: ما أبقت الفتنة منك؟ قال: وأي فتنة رأيتني فيها؟ قال: رأيتهم يقبلون يدك فلا تمنعهم.

وقال: أبو بكر خليفة رسول الله في نص القرآن، لأن الله تعالى يقول: (للفقراء المهاجرين) إلى قوله (أولئك هم الصادقون) فمن سماه الله صادقًا ليس يكذب، هم قالوا: يا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وقال: أدنى نفع السكوت السلامة، وكفى بها عافية، وأدنى ضرر المنطق الشهرة، وكفى بها بلية.

وقال: الدخول في العلم سهل، ولكن الخروج منه إلى الله شديد.

وقال يحيى بن سعيد: زاملت أبا بكر بن عياش على مكة، فما رأيت أورع منه، ولقد أهدى له رجل رطبًا فبلغه أنه من بستان أخذ من خالد بن سلمة المخزومي، فأتى آل خالد فاستحلهم وتصدق بثمنه.

قال أبو عبد الله المعيطي: رأيت أبا بكر بن عياش بمكة فأتى سفيان بن عيينة فبرك بين يديه، فجاء رجل يسأل سفيان عن الحديث، فقال: لا تسألني ما دام هذا الشيخ قاعدًا.

قال أحمد بن حنبل: حدثنا أبو بكر قال: قال لي عبد الملك بن عمير: حدثني، وكنت أحدث أبا إسحق فيسمع إليّ، وأحدث الأعمش فيستعيدني.

وقال عيسى بن يونس: سألت أبا بكر بن عياش عن الحديث فقال: إن كنت تحب أن تحدث فلست بأهل أن تؤتَى، وإن كنت تكره فبالحري أن تنجو.

قال أحمد بن يونس: كان الأعمش يضرب هؤلاء ويشتمهم ويطردهم (يقصد طلاب الحديث)، وكان يأخذ بيد أبي بكر، فيجلس معه في زاوية لحال القرآن.

وقال يزيد بن هارون: كان أبو بكر خيِّرًا فاضلاً، لم يضع جنبه إلى الأرض أربعين سنة.

وروى عنه أنه مكث أربعين سنة أو نحوها يختم القرآن في كل يوم وليلة. قال الإمام الذهبي معلقًا على هذا: إذا سمعت مثل هذا عن الرجل يعظم في عيني وأغبطه، ولكن متابعة السنة أرفع، فقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم أن يُقرأ القرآن في أقل من ثلاث، وقال: "لم يفقه من قرأ القرآن في أقل من ثلاث"؛ صدق نبينا صلى الله عليه وسلم، فلعل هؤلاء ما بلغهم النهي عن ذلك، والله أعلم.

لما حضرت أبا بكر بن عياش الوفاة بكت أخته، فقال لها: ما يبكيك؟ انظري إلى تلك الزاوية ختمت فيها ثمان عشرة ألف ختمة.

حفص (٩٠-١٨٠هـ):

هو حفص بن سليمان بن المغيرة أبو عمر الكوفي الأسدي، تلميذ عاصم وابن زوجته، ومن ثم أتقن القراءة عنه، فهو معه في داره يقرأ عليه القرآن مرارًا.

قرأ عليه عرضًا وسماعًا عمرو بن الصباح، وعبيد بن الصباح، وأبو شعيب القواس، وحمزة بن القاسم وغيرهم.

قال الإمام الذهبي عنه: أما في القراءة فثقة ثبت، ضابط لها بخلاف حاله في الحديث.

وقال أبو هاشم الرفاعي: كان حفص أعلمهم بقراءة عاصم.

وقال ابن مجاهد: بين حفص وأبي بكر من الخلاف في الحروف في خمسمائة وعشرين حرفًا في المشهور عنهما.

وقال ابن المنادي: كان الأولون يعدونه في الحفظ فوق ابن عياش، ويصفونه بضبط الحروف التي قرأ على عاصم، وأقرأ الناس دهرا.

ملاحظة:

الحرف عند المقرئين يطلق على الكلمة القرآنية المختَلَف فيها بين القراء، أو يطلق على القراءة نفسها.

وللحديث بقية إن شاء الله، نسأل الله أن يجعلنا من أهل القرآن.

باب القراءات القرآنية

تراجم أئمة القراءات

الحلقة الخامسة

الإمام الكسائي

إعداد: د. أسامة صابر

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

فلا يزال الحديث متصلاً عن ترجمة أئمة القراءات، فنقول وبالله تعالى التوفيق:

الإمام الكسائي:

هو الإمام أبو الحسن علي بن حمزة بن عبد الله بن بهمَن بن فيروز الأسدي مولاهم الكوفي المقرئ النحوي، وهو فارسي الأصل من تابعي التابعين، واشتهر بالكسائي؛ وذلك لأنه أحرم في كساء، وقيل: لأنه كان يتشح بكساء ويجلس في حلقة حمزة فيقول: "اعرضوا على صاحب الكساء".

قال الإمام الشاطبي رحمه الله:

وأما عليٌّ فالكسائي نعته
لما كان في الإحرام فيه تسربلا

وُلد في حدود العشرين ومائة.

قرأ القرآن وجوَّده على حمزة الزيات أربع مرات، وقرأ على عيسى بن عمر الهمداني، وزائدة، ومحمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى، وأبي حيوة شريح بن يزيد الحضرمي.

وقرأ عليه: أبو عمر الدوري، وأبو الحارث الليث، ونصير بن يوسف الرازي، وقتيبة بن مهران الأصبهاني، وأبو عبيد القاسم بن سلام، وخلق سواهم.

سمع الحديث من جعفر بن محمد، والأعمش، وزائدة، وسليمان بن أرقم.

وحدث عنه: يحيى الفراء، ومحمد بن المغيرة، ويعقوب الدورقي، وأحمد بن حنبل، وغيرهم.

قال الكسائي: أدركت أشياخ أهل الكوفة: أبان بن تغلب، وابن أبي ليلى، وحجاج بن أرطاة، وعيسى بن عمر، وحمزة.

ورحل إلى البصرة فأخذ العربية عن الخليل بن أحمد، وخرج إلى البوادي في طلب لغات العرب، وانتهت إليه الإمامة في القراءة والعربية.

ثناء العلماء عليه:

قال عنه أبو عبيد: "كان من أهل القراءة، وهي كانت علمه وصناعته، ولم نجالس أحدًا أضبط ولا أقوم بها منه".

وقال يحيى بن معين: "ما رأيت بعيني أصدق لهجة من الكسائي".

وقال خلف بن هشام: "كنت أحضر بين يدي الكسائي وهو يقرأ على الناس، وينقطون مصاحفهم بقراءته عليهم".

وقال الشافعي: "من أراد أن يتبحر في النحو فهو عيال على الكسائي".

وقال أبو بكر بن الأنباري: "اجتمعت في الكسائي أمور؛ كان أعلم الناس بالنحو، وأحدهم في الغريب، وكان أوحد الناس في القرآن حتى لا يضبط الأخذ عليهم فيجمعهم، ويجلس على كرسي، ويتلو القرآن من أوله إلى آخره، وهم يسمعون، ويضبطون عنه حتى المقاطع والمبادئ".

وقال نصير بن يوسف: "كان إذا قرأ أو تكلم كأن مَلَكًا ينطق على فيه، وكان يجلس على منبر الكوفة، ويقرأ فتُضبَط المصاحف بقراءته، وتُؤخذ الألفاظ منه".

وعن الفراء قال: "قَالَ لي قوم: ما اختلافك

إلَى الكسائي وأنت مثله في العلم؟ فأعجبتني نفسي فناظرته يومًا وزدتُ، فكأني كنت طائرًا أشرب من بحر".

وقال أبو المعافى-وكان من علماء القراءات-: "الكسائي القاضي على أهل زمانه".

وقال الإمام الذهبي: "في الكسائي تيه وحشمة، لما نال من الجاه والرئاسة بإقرائه الأمين ولد الرشيد، وتأديبه أيضًا للرشيد، فنال ما لم ينله أحد من الإكرام والأموال".

عن أبي عمر الدوري قَالَ: "لم يغير الكسائي شيئًا من حاله مع السلطان إلا لباسه، قَالَ: فرآه بعض علماء الكوفيين، وعليه جربانات (نوع من القمصان) عظام، فقال له: يا أبا الحسن ما هذا الزي؟ قَالَ: "أدب من أدب السلطان لا يثلم دينًا، ولا يُدْخِل في بدعة، ولا يُخْرِج عَن سُنَّة".

من أخلاقه وأحواله:

قال الكسائي: "صليت بهارون الرشيد، فأعجبتني قراءتي، فغلطت في آية ما أخطأ فيها صبي قط، أردت أن أقول (لعلهم يرجعون) فقلت: لعلهم يرجعين، فو الله ما اجترأ هارون أن يقول أخطأت، ولكنه لما سلم قال: أي لغة هذه؟ قلت: يا أمير المؤمنين: قد يعثر الجواد، قال: أما هذا فنعم".

قال ابن الدورقي: "اجتمع الكسائي واليزيدي، عند الرشيد، فحضرت صلاة فقدموا الكسائي يصلي، فأرتج عليه قراءة (قل يا أيها الكافرون)، فقال اليزيدي: قراءة (قل يا أيها الكافرون) ترتج على قارئ الكوفة؟ قال: فحضرت صلاة، فقدموا اليزيدي، فأرتج عليه في (الحمد)، فلما سلم قال:

احفظ لسانك لا تقول فتبتلى
إن البلاء موكّل بالمنطق

قال الفراء: لقيت الكسائي يومًا فرأيته كالباكي، قلتُ: ما يبكيك؟ فقال: هذا الملك يحيى بن خالد يحضرني فيسألني عن الشيء، فإن أبطأت في الجواب لحقني منه عتب، وإن بادرت لم آمن الزلل. فقلت: يا أبا الحسن، مَن يعترض عليك، قل ما شئت فأنت الكسائي، فأخذ لسانه بيده فقال: قطعه الله إذا إن قلت ما لا أعلم.

قصة طلبه للنحو:

قال الفراء: إنما تعلم الكسائي النحو على كبر؛ لأنه جاء إلى قوم وقد أعيا، فقال: قد عييتُ، قالوا له: تجالسنا وأنت تلحن؟ قال: كيف لحنت؟ قالوا: إن كنت أردت من التعب فقل: أعييت، وإن كنت أردت انقطاع الحيلة والتحير في الأمر فقل: عييت، فأنف من ذلك وقام من فوره فسأل عمن يعلم النحو، فدل على معاذ الهراء فلزمه، ثم خرج إلى البصرة فلقي الخليل، وجلس في حلقته، فقال له رجل من الأعراب: تركت أسد الكوفة وتميمها، وعندها الفصاحة، وجئت إلَى البصرة؟ فقال للخليل: من أين أخذت علمك هذا؟ فقال: من بوادي الحجاز ونجد وتهامة، فخرج، ورجع، وقد أنفد خمس عشرة قنينة حبرًا في الكتابة عَن العرب سوى ما حفظ، فلم يكن له همٌّ غير البصرة والخليل، فوجد الخليل قد مات، وقد جلس في موضعه يونس النحوي، فجرت بينهما مسائل أقرَّ له يونس فيها.

من تصانيفه:

(معاني القرآن)، كتاب: القراءات)، كتاب: العدد)، كتاب: (النوادر الكبير)، كتاب: (النوادر الأوسط)، كتاب: (النوادر الأصغر)، كتاب: في النحو، كتاب: (اختلافهم في العدد)، كتاب: الهجاء)، كتاب: (مقطوع القرآن وموصوله)، كتاب: المصادر)، كتاب: الحروف)، كتاب: الهاءات)، وقد ذكر الإمام الذهبي هذه التصانيف، ثم قال: وعامة هذه الكتب عدمت مع طول المدة.

ولكتابه: (معاني القرآن) قيمة علمية عظيمة؛ حتى قال أبو عمر الدوري: "قرأت هذا الكتاب " معاني الكسائي " في مسجد السُّواقين ببَغْدَادَ على أبي مسحل، وعلى الطوال، وعلى سَلمة وجماعة، قَالَ: فقال أبُو مسحل لو قرئ هذا الكتاب عشر مرات لاحتاج من يقرؤه أن يقرأه".

وفاته: توفي بالري سنة ١٨٩ هـ.

وللحديث بقية إن شاء الله. نسأل الله أن يجعلنا من أهل القرآن.

تراجم أئمة القراءات

الحلقة السادسة

إعداد د. أسامة صابر

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

فلا يزال الحديث متصلًا عن ترجمة أئمة القراءات، فنقول وبالله تعالى التوفيق:

الإمام أبو جعفر المدني:

هو يزيد بن القعقاع أبو جعفر المخزومي المدني، وقيل اسمه فيروز، وهو تابعي جليل وأحد القراء العشرة الأعلام.

قرأ على مولاه عبد الله بن عياش بن أبي ربيعة المخزومي، وقد ذكر جماعة أنه قرأ علىّ أبي هريرة وابن عباس روايتهم عن أبي بن كعب.

قرأ عليه نافع، وعيسى بن وردان، وسليمان بن جماز، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم، وطائفة.

حدَّث عن أبي هريرة وابن عباس، وهو مقل في الرواية، ولكنه إمام في القراءة.

وحدَّث عنه الإمام مالك- في غير الموطأ-، وعبد العزيز الدراوردي، وابن أبي حازم.

ثناء العلماء عليه:

قال عنه سليمان بن مسلم: كان من أقرأ الناس.

وقال يحيى بن معين: كان إمام أهل المدينة في القراءة فسمي القارئ بذلك، وكان ثقة قليل الحديث.

وقال أبو الزناد: لم يكن أحد أقرأ للسنة من أبي جعفر، وكان يقدم في زمانه على عبد الرحمن بن هرمز الأعرج.

من مناقبه وأحواله:

كان من العُبَّاد، يقوم الليل ويتصدق حتى بإزاره.

روى سليمان بن جماز عنه: أنَّه كان يصوم يومًا ويفطر يومًا، وهو صوم داود عليه السلام، واستمرَّ على ذلك مُدَّة من الزمان، فقال له بعض أصحابه في ذلك، فقال: إنَّما فعلتُ ذلك، أروِّض به نفسي لعبادة الله تعالى.

عن نافع بن أبي نُعَيْم قال: كان أبو جعفر يقوم الليل، فإذا أصبح جلس يُقْرئ النَّاس، فيقع عليه النوم، فيقول لهم: خذوا الحصا فَضَعُوه بين أصابعي ثم ضمُّوها، فكانوا يفعلون ذلك.

وقال له رجل: هنيئًا لك ما آتاك من القرآن، قال: ذاك إذا أحللتُ حلاله، وحرمتُ حرامه، وعملت بما فيه.

روى إسحاق المسيبى عن نافع قال: لما غُسِّل أبو جعفر، نظروا ما بين نحره إلى فؤاده كورقة المصحف، فما شك من حضره أنه نور القرآن.

وفاته: مات بالمدينة سنة ثلاثين ومائة، وقيل غير ذلك، وعاش- رحمه الله- نيفا وتسعين سنة.

راويا أبي جعفر

١- ابن وَردان:

هو عيسى بن وردان أبو الحارث المدني الحذاء، إمام متقن حاذق وراو محقق ضابط، قرأ على أبي جعفر وشيبة بن نصاح، ثم عرض على نافع بن أبي نعيم، وهو من جلة أصحاب نافع وقدمائهم.

روى عنه القراءة عرضًا إسماعيل بن جعفر المدني، وقالون، والواقدي، وغيرهم.

مات في حدود الستين ومائة.

فائدة:

(«أخذ القراءة عرضًا» معناه أن يقرأ الطالب والشيخ يسمع منه، والعرض على الشيوخ هو المقدم عند القراء وهو سنة فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يعرض القرآن على جبريل، وثبت أن ابن مسعود عرض على النبي صلى الله عليه وسلم حين

قرأ عليه من سورة النساء).

٢- ابن جَمَّاز:

هو سليمان بن مسلم بن جماز المدني، أبو الربيع الزهري، مقرئ جليل، ضابط حاذق.

قرأ على أبي جعفر، وشيبة، ونافع.

وقرأ عليه: إسماعيل بن جعفر، وأخوه يعقوب، وقتيبة بن مهران، والوليد بن مسلم.

توفي بالمدينة نحو سنة سبعين ومائة.

الإمام يعقوب الحضرمي

هو يعقوب بن إسحاق بن زيد بن عبد الله بن أبي إسحاق أبو محمد الحضرمي، البصري، أحد القراء العشرة، وإمام أهل البصرة ومقرئها.

أخذ القراءة عرضًا على سلام الطويل، وشهاب بن شُرنُفَة ومهدي بن ميمون، وأبي الأشهب العطاردي، ومسلمة بن محارب، ويونس بن عبيد، وسمع الحروف من الكسائي، ومحمد بن زريق الكوفي عن عاصم، وسمع من حمزة حروفًا، وقيل قرأ على أبي عمرو.

فائدة: («روى الحروف عن فلان» أنه أخذ عنه الكلمات القرآنية المختلف فيها، دون أن يقرأ عليه القرآن كله).

روى القراءة عنه عرضًا: زيد بن أخيه أحمد، وكعب بن إبراهيم، وعمر السراج، وأبو حاتم السجستاني، وأبو عمر الدوري، وروح بن عبد المؤمن، ومحمد بن عبد المتوكل رويس، وغيرهم.

وقراءة يعقوب متواترة، قال ابن الجزري رحمه الله: ومن أعجب العجب، بل من أكبر الخطأ جعل قراءة يعقوب من الشواذ.

ثناء العلماء عليه:

قال أبو حاتم السجستاني: هو أعلم من رأيت بالحروف، والاختلاف في القرآن وعلله ومذاهبه، ومذاهب النحو، وأروى الناس لحروف القرآن ولحديث الفقهاء.

وقال الداني: وائتم بيعقوب في اختياره عامة البصريين بعد أبي عمرو، فهُمْ أو أكثرهم على مذهبه.

وقال ابن أبي حاتم: سُئل أحمد بن حنبل عنه. فقال: صدوق، وسئل أبي عنه فقال: صدوق.

وقال أبو الحسن بن المنادي: كان يعقوب أقرأ أهل زمانه، وكان لا يلحن في كلامه.

من أخلاقه وأحواله:

قال أبو القاسم الهذلي: لم يُرَ في زمن يعقوب مثله، كان عالمًا بالعربية ووجوهها، والقرآن واختلافه، فاضلاً تقيًا ورعًا زاهدًا، بلغ من زهده أنه سُرق رداؤه عن كتفه وهو في الصلاة فلم يشعر، ورُدَّ إليه ولم يشعر لشغله بالصلاة، وبلغ من جاهه بالبصرة أنه كان يَحْبِس ويُطلِق.

وفاته: قال البخاري وغيره: مات في ذي الحجة سنة خمس ومائتين وله ثمان وثمانون سنة.

راويا يعقوب

١- رُوَيس:

هو محمد بن المتوكل، أبو عبد الله اللؤلؤي البصري، المعروف برويس، مقرئ حاذق ضابط مشهور.

أخذ القراءة عرضًا على يعقوب الحضرمي، وختم عليه ختمات، وهو من أحذق أصحابه.

وروى القراءة عنه: محمد بن هارون التمار، وأبو عبد الله الزبير بن أحمد الزبيري.

توفي بالبصرة سنة ثمان وثلاثين ومائتين.

٢- رَوْح:

هو رَوْح بن عبد المؤمن أبو الحسن الهذلي مولاهم البصري النحوي، مقرئ جليل ثقة ضابط مشهور.

عرض على يعقوب الحضرمي، وهو من جلة أصحابه، وروى الحروف عن أحمد بن موسى، ومعاذ بن معاذ، وابنه عبيد الله بن معاذ، كلهم عن أبي عمرو وعن حماد بن شعيب صاحب خالد بن جَبَلة، وعن محمد بن صالح المريّ صاحب شبل.

وقرأ عليه: الطيِّبُ بن الحسن بن حمدان القاضي، وأبو بكر محمد بن وهب الثَّقفي، ومحمد بن الحسن بن زياد، وأحمد بن يزيد الحُلْوَاني، وغيرهم.

وروى عنه البخاري في صحيحه، وعبد الله بن أحمد، وأبو يعلى الموصلي.

مات سنة أربع أو خمس وثلاثين ومائتين.

وللحديث بقية إن شاء الله، والحمد لله رب العالمين.

وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ

(الفوائد الصحية للصيام)

د. أسامة صابر

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

الصيام عبادة لله عز وجل، وغايته تحقيق التقوى، وله من الفوائد الطبية ما يظهر عظمة التشريع الإسلامي، وحكمته ونفعه للعباد في الدنيا والآخرة.

ومن فوائد الصيام الصحية:

تحسين أداء الجهاز المناعي:

يقوي الصيام جهاز المناعة الذي يقي بدوره الجسم من الأمراض المعدية والأورام، فتنشط الخلايا الليمفاوية، ويرتفع مستوى الأجسام المضادة، وتقوى الردود المناعية.

فوائد للقلب والجهاز الدوري:

يخفف العبء على القلب بتقليل كمية الدم الذي يضخه إلى الجهاز الهضمي، وفي الصيام حماية للشرايين من خطر الانسداد، ومع هدوء الصيام وسكينته يقل إفراز الهرمونات المحفزة مثل الأدرينالين فتهدأ ضربات القلب، ويقل التعرض لنوبات عدم انتظام ضربات القلب.

فوائد الصيام للجهاز الهضمي:

يمنح الصيام راحة كافية للجهاز الهضمي يتخفف فيها من أعباء الهضم والامتصاص وإفراز العصارات الهاضمة، ويريح البنكرياس ويوفر إفراز الأنسولين، ويقلل من احتمال الإصابة بمرض السكري.

تجدد الخلايا التالفة:

الصيام يساعد في تجدد الخلايا التالفة، والميتة من خلال إحداث تغيير في محتوى الأحماض الأمينية بالكبد وهي البنية الأساسية لبناء الخلايا.

مقاومة الشيخوخة:

يزيد الصيام من حيوية ونشاط الخلايا؛ كما يساعد في تقليل تراكم السموم الناتجة عن عملية التمثيل الغذائي والهضم، ويحد الصيام من عملية الأكسدة والجزيئات الحرة التي تتفاعل مع البروتينات والأحماض النووية وتضر بالخلايا.

فقدان الوزن:

فالصيام يمتد من الفجر إلى غروب الشمس، مما يؤدي إلى استهلاك الدهون كمصدر للطاقة، ويترتب على ذلك نقص الوزن وخفض معدل الكوليسترول وزيادة التحكم في السكري وضغط الدم.

الصحة النفسية:

يزيد الصيام من التركيز وتوقد الذهن واستنباط الأفكار ويصرف عن النزوات وأمراض النفس كالحسد والخوف والاكتئاب وحب التسلط والشعور بالملل.

الصيام حماية من أمراض عديدة منها:

الحصوات، والزوائد اللحمية والأكياس الدهنية، والأورام، والنقرس وآلام المفاصل، والصداع النصفي والبدانة، ويساعد على الشفاء من الصدفية والالتهابات، ويعدل الصيام من ارتفاع حموضية المعدة مما يفيد مرضى قرحة المعدة والارتجاع المَعدي المريئي.

الصيام يساعد على علاج الإدمان، وهو بهذا فرصة عظيمة للإقلاع عن التدخين.

من إعجاز الطب النبوي: نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن الوصال، وقد أثبت الطب الحديث أن فوائد الصيام مترتبة على مدته المناسبة، وهي من ١٢ إلى ١٨ ساعة، أما إن طالت المدة فإن البروتينات تبدأ في التحلل لتوفير مصدر الطاقة، ويتعرض الجسم للجفاف، وتتأثر وظائفه الحيوية.

فوائد الإفطار على رطب أو تمر:

وهو من الهدي النبوي وفيه مزية للصائم بحصوله على قدر من السكر يصل إلى الدم بسرعة فيمده بالطاقة ويشعره بالشبع، ويقلل من احتياجه للطعام عند الإفطار.

هؤلاء يُنصحون بالفطر:

من رحمة الله عز وجل أن رخَّص للمريض في الفطر فقال تعالى: «ومن كان مريضًا أو على سفر فعدة من أيام أخر»، ولذا ينصح بمراجعة الطبيب المختص والذي قد يوصي بالفطر في الحالات الآتية:

مرضى الهزال وسوء التغذية. قصور الكبد الشديد والفشل الكلوي. حدوث أعراض انخفاض مستوى السكر عند مرضى الداء السكري. بعض حالات اضطراب ضربات القلب. بعض حالات الحمل. بعض حالات حصوات الكلى خاصة في البلاد الحارة. المرضى الذين يعانون من تخثر بالدم. المرضى الذين يعانون من تأرجح كبير وسرعة تغير في نسبة الجلوكوز بالدم. الأطفال المصابون بمرض السكري. مرضى السكري الذين يعانون من مضاعفات خطيرة مثل الفشل الكلوي، والذبحة الصدرية، وتسمم الدم وفشل القلب الاحتقاني.

ملحوظة: أغلب مرضى السكري يستطيعون الصيام وينتفعون به صحيًا بشرط ضبط الغذاء والدواء.

نصائح طبية:

- احرص على أن يكون غذاؤك متوازنًا تتوفر فيه النشويات والبروتينات والفيتامينات والألياف الغذائية.

- تجنب الإسراف في الطعام «وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ» (الأعراف: ٣١).

- تعجيل الفطر وتأخير السحور والاقتصار عليهما، وترك عادة الأكل طوال الليل.

- تجنب الإكثار من الحلوى واستبدل بها الفواكه الطازجة.

- تجنب الأطعمة المقلية والغنية بالدهون المشبعة.

- لا تسرف في المشروبات التي تحتوي على الكافيين مثل القهوة والشاي والكولا؛ فهي مدرة للبول، وتساعد على فقدان الماء والسوائل من الجسم.

- شرب كميات مناسبة من الماء على فترات متفرقة، وتجنب شرب الماء المثلج عند الإفطار، ولا تكثر من شرب الماء في السحور؛ لأنه لن يقلل العطش؛ إذ سرعان ما تتخلص الكلى من الماء الزائد.

- الإقلال من الملح والمخللات والبهارات.

- تجنب النوم بعد الإفطار فهو مُضِرّ للبدن، وقد يضيع عليك صلاة المغرب والعشاء والقيام.

- الحركة والنشاط وأخذ قسط من نوم الليل.

نسأل الله القبول والعافية، والحمد لله رب العالمين.

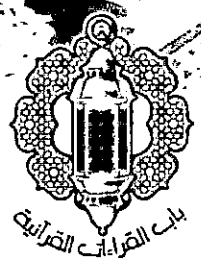

الإمام الشاطبي

الحلقة السابعة

إعداد د. أسامة صابر

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعدُ:

فلا يزال الحديث متصلاً عن ترجمة أئمة القراءات، فنقول وبالله تعالى التوفيق:

قدمنا بفضل الله تعالى في الحلقات السابقة نبذة يسيرة لتراجم القراء العشرة ورواتهم، وها نحن نقف اليوم على سيرة عَلَم من أعلام القراءات ألا وهو الإمام الشاطبي الأندلسي الضرير صاحب المنظومة الشهيرة في القراءات السبع- رحمه الله-.

اسمه: القاسم بن فِيرُّة بن خلف بن أحمد الرُّعَيْني.
كنيته: أبو القاسم، وأبو محمد.

وُلد سنة ٥٣٨ هجرية، وقد وُلد أعمى.

شيوخه: قرأ بشاطبة بالأندلس القراءات السبع على أبي عبد الله بن أبي العاص النفزي، ورحل إلى بلنسية (وهي بلدة قريبة من شاطبة) فقرأ القراءات على أبي الحسن بن هذيل، وعرض عليه التيسير، وقرأ على أبي الحسن بن النعمة، وأبي عبد الله بن سعادة، وأبي محمد بن عاشر، وأبي عبد الله بن عبد الرحيم، وعليم بن عبد العزيز، وارتحل للحج وبعده دخل الإسكندرية فسمع من أبي الطاهر السلفي.

واستوطن مصر وتصدر للإقراء، وشاع ذكره، وانتهت إليه رئاسة الإقراء فيها.

قرأ عليه: عيسى بن يوسف المقدسي، وعبد الرحمن بن سعد الشافعي، وأبو عبد الله محمد بن عمر القرطبي، وأبو الحسن السخاوي (وهو من أجلّ أصحابه)، والزين أبو عبد الله الكردي، والكمال علي بن شجاع الضرير المعروف بصهر الشاطبي، وغيرهم.

كان يصلي الصبح بغلس بالفاضلية، ثم يجلس للإقراء، فكان الناس يتسابقون السَّرْيَ إليه ليلاً، وكان إذا قعد لا يزيد على قوله: من جاء أوّلاً فليقرأ. ثم يأخذ على الأسبق فالأسبق.

سبب انتقاله من الأندلس إلى مصر:

ذكر السخاوي أنه -رحمه الله- طُلب منه الخطابة فتورع عنها لأن الخطباء كانوا يلزمون بذكر الأمراء بأوصاف لم يرها سائغة، واحتج بالحج، وترك بلده فلم يعد إليه، فطلبه القاضي الفاضل عبد الرحيم البيساني للإقراء بمدرسته بالقاهرة فأجابه.

زيارته لبيت المقدس:

لما فتح السلطان صلاح الدين بيت المقدس توجه إليه الشاطبي سنة ٥٨٩هـ للزيارة، وصام به رمضان واعتكف، ثم رجع إلى مصر فأقام في المدرسة الفاضلية يقرئ طيلة حياته.

ثناء العلماء عليه:

قال عنه أبو الحسن السخاوي: هو الشيخ الإمام، شرف الحفّاظ والقراء، علم الزُّهاد والكبراء.

وقال عنه الإمام النَّووي: لم يكن بمصر - في زمانه - نظيره في تعدّد فنونه.

قال الإمام الذهبي: «كان يقال إنه يحفظ وقر بعير من العلوم وكان يتوقد ذكاءً. له الباع الأطول في فن القراءات والرسم والنحو والفقه والحديث، وله النظم الرائق، مع الورع والتقوى والتأله والوقار».

وقال عنه ابن خَلِّكان: «كان عالماً بكتاب الله تعالى قراءةً وتفسيراً، وبحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، مبرّزاً فيه، وكان إذا قرئ عليه صحيح البخاري ومسلم والموطأ تُصَحَّحُ النُّسَخُ من حفظه، ويُملي النُّكت على المواضع المحتاج إليها من حفظه. كان أوحدَ في علم النَّحو واللغة، عارفاً بعلم الرؤيا، حسن المقاصد، مخلصاً فيما يقول ويفعل. وانتفع به خلق كثير وكان يجتنب فضول الكلام، ولا ينطق - في سائر أوقاته - إلا بما تدعو إليه ضرورة، ولا يجلس للإقراء إلا على طهارة، في هيئة حسنة، وتخشّع واستكانة، وكان يَعتلّ العلّة الشديدة فلا يشتكي ولا يتأوّه، وإذا سُئِلَ عن حاله قال: العافية، لا يزيد على ذلك.

وقال عنه ابن الجزري: هو وليّ الله، الإمام العلامة، أحد الأعلام الكبار، والمُشتَهرين في الأقطار. وقال: «وكان إماماً كبيراً، أعجوبة في الذكاء، كثير الفنون، آية من آيات الله تعالى، غاية في القراءات، حافظاً للحديث، بصيراً

بالعربية، إماماً في اللغة، رأساً في الأدب، مع الزهد والولاية والعبادة.

من مؤلفاته:

١- منظومة (حرز الأماني ووجه التهاني) وهي القصيدة اللامية في القراءات السبع المشهورة بالشاطبية وعدد أبياتها ١١٧٣، ولا غنى لطالب علم القراءات عن حفظها والقراءة بمضمونها.

٢- «عقيلة أتراب القصائد في أسنى المقاصد»، وهي في علم رسم المصاحف، لخّص بها كتاب «المقنع» لأبي عمرو الداني، وعدد أبياتها (٢٩٨).

٣- قصيدة «ناظمة الزهر» وهي رائية في علم الفواصل، اختصر فيها كتاب «البيان في عدد آي القرآن» لأبي عمرو الداني وعدد أبياتها (٢٩٧).

٤- قصيدة دالية تقع في (٥٠٠) بيت، نظم فيها كتاب «التمهيد» لابن عبد البرّ.

من أقواله:

لا يقرأ أحد قصيدتي هذه (يريد الشاطبية في القراءات السبع) إلا وينفعه الله، لأنني نظمتها لله.

وقد طاف حول الكعبة كثيرًا، وهو يدعو لمن يقرؤها فيقول: «اللهم فاطر السماوات والأرض، عالمَ الغيب والشهادة، ربَّ هذا البيت العظيم، انفع بها كلَّ مَن يقرؤها».

وفاته:

توفي بمصر في الثامن والعشرين من جمادى الآخرة سنة ٥٩٠ هجرية عن اثنتين وخمسين سنة ودُفن يوم الاثنين بمقبرة القاضي الفاضل عبد الرحيم البيساني بالقرافة الصغرى بالقرب من سفح الجبل المقطم.

تعريف موجز بمنظومة الشاطبية في القراءات السبع

اسمها: (حرز الأماني ووجه التهاني)، وقد صرح الإمام الشاطبي باسمها فقال:

وسميتها حرز الأماني تيمنا
ووجه التهاني فاهنه متقبلا

قال أبو شامة: (معنى هذه التسمية أنه أودع في هذه القصيدة أمالي طالبي هذا العلم، وأنها تقابلهم بوجه مهنئ بمقصودهم).

ويطلق عليها (الشاطبية) اختصارًا، نسبة إلى صاحبها، ويطلق عليها (القصيدة اللامية) لأن قوافيها تنتهي على اللام.

موضوعها: لخص فيها كتاب (التيسير) لأبي عمرو الداني في القراءات السبع، وزاد فوائد عليه، وقد قال -رحمه الله-:

وفي يسرها التيسير رمت اختصاره
فأجنت بعون الله منه مؤملا
وألفافها زادت بنشر فوائد
فلفت حياء وجهها أن تفضلا

عدد أبياتها: (١١٧٣)، وأبياتها ألف تزيد ثلاثة ومع مئة سبعين زهرا وكملا

ابتدأ نظمها بالأندلس إلى البيت الخامس والأربعين، ثم أكملها بالقاهرة.

ثناء العلماء عليها:

قال الإمام الذهبي: «وقد سارت الركبان بقصيدتيه «حرز الأماني» و «عقيلة أتراب القصائد» اللتين في السبع والرسم، وحفظهما خلقٌ لا يُحْصَوْنَ، وخضع لهما فحول الشعراء، وكبار البلغاء وحذاق القراء، فلقد أبدع وأوجز، وسهل الصعب.

وقال ابن الجزري: (ولقد رزق هذا الكتاب من الشهرة والقبول ما لا أعلمه لكتاب غيره في هذا الفن، بل أكاد أن أقول ولا في غير هذا الفن...)، وقال: (ولا أعلم كتابًا حفظ وعرض في مجلس واحد وتسلسل بالعرض إلى مصنفه كذلك إلا هو).

مسائلها:

١- المقدمة: وذكر فيها خطبة الكتاب، وبيّن بعض فضائل القرآن وشَرَف حَمَلته، وذكر القراء السبعة، ورواتهم وبيّن رموزهم في الكتاب منفردين ومجتمعين، وبيّن منهجه في عرض مسائل القراءات، ثم ختم المقدمة بنصائح لطلبة العلم وقراء القرآن.

٢- الأصول: وبين فيها أصول القراء السبعة.

٣- الفرش: ويذكر فيه اختلاف القراء مرتبًا على ترتيب السور.

٤- أحكام التكبير.

٥- بعض أحكام التجويد المتعلقة بالمخارج والصفات.

٦- الخاتمة: وقد مدح فيها قصيدته، وحمد الله على إتمامها، وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم، وعلى أصحابه الكرام.

من شروح الشاطبية:

١- فتح الوصيد في شرح القصيد للسخاوي تلميذ الناظم.

٢- اللآلئ الفريدة في شرح القصيدة لأبي عبد الله الفاسي.

٣- العقد النضيد في شرح القصيد للسمين الحلبي.

٤- إبراز المعاني في حرز الأماني لأبي شامة.

٥- سراج القارئ لابن القاصح.

٦- كنز المعاني شرح حرز الأماني المعروف بشرح شعلة.

٧- إرشاد المريد إلى مقصود القصيد للشيخ علي الضباع.

٨- الوافي للشيخ عبد الفتاح القاضي.

وللحديث بقية إن شاء الله، والحمد لله رب العالمين.

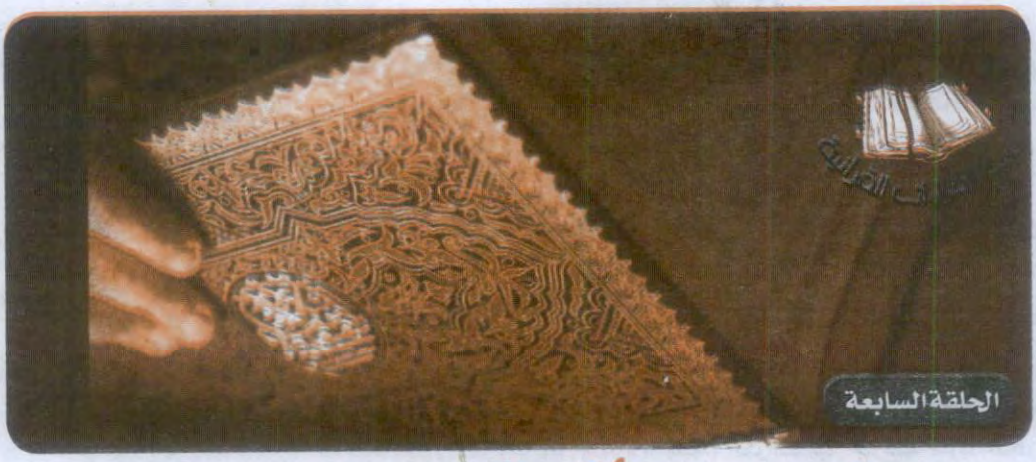

تراجم أئمة القراءات

إعداد د. أسامة صابر

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

فحديثنا بعون الله عن عَلَم من أعلام القراءات، هو الإمام الحجة الحافظ المدقق فريد العصر وسند المقرئين وعدة أهل الأداء وصاحب التصانيف الفريدة الإمام ابن الجزري.

اسمه: محمد بن محمد بن محمد بن علي بن يوسف بن الجزري. كنيته أبو الخير.

مولده: ليلة السبت الخامس والعشرين من شهر رمضان سنة إحدى وخمسين وسبعمائة بدمشق.

حفظ القرآن سنة ٧٦٤، وصلى به سنة ٧٦٥، وأجازه خال جده محمد بن إسماعيل الخباز.

تعلمه للقراءات:

١. في بلده أفرد القراءات على الشيخ أبي محمد عبد الوهاب بن السلار، والشيخ أحمد بن إبراهيم بن الطحان، والشيخ أحمد بن رجب، وجمع للسبعة على الشيخ المجود إبراهيم الحموي، ثم جمع القراءات على الشيخ أبي المعالي بن اللبان في سنة ثمان وستين.

٢. رحلته الأولى في طلب العلم

حج سنة ثمان وستين فقرأ بمضمن الكافي والتيسير على الشيخ أبي عبد الله محمد بن صالح الخطيب والإمام بالمدينة الشريفة، ثم رحل إلى مصر في سنة تسع وستين، فجمع القراءات على الشيخ أبي بكر عبد الله بن الجندي، وللسبعة بمضمن العنوان والتيسير والشاطبية على العلامة أبي عبد الله محمد بن الصائغ والشيخ أبي محمد عبد الرحمن بن البغدادي، فتوفي ابن الجندي، وهو قد وصل إلى قوله تعالى: «إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ» في النحل فاستجازه فأجازه، وأشهد عليه، ثم توفي فأكمل على الشيخين المذكورين، ثم رجع إلى دمشق.

٣. رحلته الثانية في تعلم القراءات وتعليمها:

جمع ثانيًا على ابن الصائغ للعشرة، وعلى ابن البغدادي للأئمة الثلاثة عشر وهم العشرة المشهورة وابن محيصن والأعمش والحسن البصري، وسمع الحديث ممن بقي من أصحاب الدمياطي والأبرقوهي، وأخذ الفقه عن الشيخ عبد الرحيم الإسنوي وغيره، ثم عاد إلى دمشق فجمع القراءات السبع في ختمة على القاضي أبي يوسف أحمد بن الحسين الكفري الحنفي، ثم رحل إلى مصر وقرأ بها الأصول والمعاني والبيان على الشيخ ضياء الدين سعد الله القزويني وأخذ عن غيره، ورحل إلى الإسكندرية فسمع من أصحاب ابن عبد السلام وابن نصر وغيرهم، وقرأ على الشيخ عبد الوهاب القروي.

وسمع من هؤلاء الشيوخ وغيرهم كثيرًا من كتب القراءات بالسماع والإجازة، وقرأ على غير هؤلاء القراءات ولم يكمل، وأجازه وأذن له بالإفتاء شيخ الإسلام أبو الفداء إسماعيل ابن كثير سنة أربع وسبعين، وكذلك أذن له الشيخ ضياء الدين سنة ثمان وسبعين، وكذلك شيخ الإسلام البلقيني سنة خمس وثمانين، وجلس للإقراء في الجامع الأموي سنين، وولي مشيخة الإقراء الكبرى بتربة أم الصالح بعد وفاة أبي محمد عبد الوهاب بن السلار.

من تلاميذه:

قرأ عليه القراءات جماعة كثيرون، فممن كمل عليه القراءات العشر بالشام ومصر: ابنه أبو بكر أحمد والشيخ محمود بن الحسين بن سليمان الشيرازي والشيخ أبو بكر بن مصبح الحموي، والشيخ نجيب الدين عبد الله بن قطب بن الحسن البيهقي، والشيخ أحمد بن محمود بن أحمد الحجازي الضرير، وغيرهم، ثم دخل الروم ونزل مدينة برصة وقرأ بها عليه القراءات العشر عوض بن «بياض» والشيخ سليمان بن «بياض»، وعلي باشا والإمام صفر شاه ومحمد ومحمود ابنا الشيخ الصالح الزاهد فخر الدين إلياس بن عبد الله والشيخ أبو سعيد بن بشلمش، وغيرهم، ثم كانت فتنة تيمورلنك في أول سنة خمس وثمانمائة، فأخذه من الروم وحمله إلى بلاد ما وراء النهر فأنزله بمدينة كش، فقرأ عليه بها وبسمرقند جماعة منهم عبد القادر بن طلة الرومي والحافظ بايزيد بن «بياض» الكشي، والحافظ المقرئ محمود بن «بياض» شيخ القراءات بها وجماعة لم يكملوا.

ثم توفي الأمير تيمور، فخرج من تلك البلاد، فوصل إلى بلاد خراسان ودخل مدينة هراة، فقرأ عليه للعشرة جماعة أكمل منهم الإمام العالم جمال الدين محمد بن محمد بن محمد بن محمد الشهير بابن افتخار الهروي، ثم وصل راجعًا إلى مدينة يزد، فقرأ عليه للعشرة جماعة منهم المقرئ الفاضل شمس الدين محمد بن الدباغ البغدادي وجماعة لم يكملوا، ثم دخل أصبهان فقرأ عليه بها جماعة أيضا، ولم يكملوا ثم وصل إلى شيراز في رمضان سنة ثمان وثمانمائة فأمسكه بها سلطانها، فقرأ عليه بها جماعة كثيرون للعشرة في جمع، ثم ألزمه صاحبها بير محمد بالقضاء بها وبممالكها وما أضيف إليها كرها فبقي فيها مدة، ثم خرج منها متوجهًا إلى البصرة، وكان قد رحل إليه المقرئ الفاضل المبرز أبو الحسن طاهر بن عزيز الأصبهاني، فجمع عليه ختمة بالعشر بمضمن الطيبة والنشر، ثم توجه إلى قرية عنيزة من نجد فأخذه الأعراب من بني لام بعد مرحلتين فرجع إلى عنيزة، فنظم بها الدرة في قراءات الثلاثة حسبما تضمنه تحبير التيسير، وفي هذا يقول:

غريبة أوطان بنجد نظمتها
وعظم اشتغال البال واف وكيف لا
صددت عن البيت الحرام وزورى
المقام الشريف المصطفى أشرف الملا
وطوقني الأعراب بالليل غفلة
فما تركوا شيئا وكدت لأقتلا

وفتح الله تعالى بالمجاورة بالمدينة وبمكة في سنة ثلاث وعشرين وفي إقامته بالمدينة، قرأ عليه شيخ الحرم الطواشي، وأنشأ رحمه الله دارًا للقراء بدمشق سماها دار القرآن، وكان يدرس فيها، وابتنى دارًا للقرآن بشيراز.

أولاده:

كان له ستة من الذكور وثلاثة من الإناث، وجميعهم من القراء المرتلين والحفاظ المحدثين ومنهم:

أبو الفتح محمد بن محمد بن محمد بن الجزري حفظ القرآن، وعمره ثمان سنوات، وجمع بالعشر وسمع الحديث، واشتغل بالفقه والعربية والأصول والحديث، وتوفي رحمه الله بالطاعون.

أبو الخير محمد بن محمد بن محمد بن الجزري جمع على والده القراءات العشر.

أبو بكر أحمد بن محمد بن محمد بن الجزري جمع كذلك القراءات العشر، وشرح كتبًا لوالده منها الطيبة.

سلمى بنت محمد بن محمد بن محمد بن الجزري حفظت القرآن، ومقدمة التجويد ومقدمة النحو والألفية، وتعلمت القراءات العشر، وعرضت على والدها ونظمت الشعر بالعربية والفارسية، وقرأت الحديث فطوبى لبيت هؤلاء أهله.

من مؤلفات ابن الجزري:

زادت عناوين مصنفاته عن الثمانين في شتى فروع العلم في التجويد والقراءات وعلوم القرآن والحديث والتاريخ، والمناقب والأصول وعلوم العربية، ومن مصنفاته في القراءات والتجويد:

التمهيد في علم التجويد.

المقدمة في ما على قارئ القرآن أن يعلمه: وهي المعروفة بالمقدمة الجزرية.

منجد المقرئين ومرشد الطالبين.

تحبير التيسير ومضمونه نظم الدرة في القراءات الثلاث المتممة للعشر (قراءة أبي جعفر ويعقوب وخلف البزار).

النشر في القراءات العشر: وفيه جمع طرق القراءات العشر من مصادرها، وميز الصحيح من الضعيف، وبذل جهدا عظيمًا في تحريرها، ونظمها في متن (طيبة النشر في القراءات العشر).

تقريب النشر في القراءات العشر.

غاية النهاية في طبقات القراء.

توفي -رحمه الله- ضحوة الجمعة لخمس خلون من أول الربيعين سنة ثلاث وثلاثين وثمانمائة بمدينة شيراز.

وللحديث بقية إن شاء الله.

الحلقة الثامنة

تراجم أئمة القراءات

د. أسامة صابر

الإمام أبو عمرو الداني

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

حديثنا بعون الله عن عَلَم من أعلام القراءات، وصفه ابن الجزري بقوله: (الإمام العلامة الحافظ، أستاذ الأستاذين، وشيخ مشايخ المقرئين).

هو عثمان بن سعيد بن عثمان بن سعيد بن عمر، الإمام الحافظ أبو عمرو الأموي مولاهم القرطبي، المعروف بابن الصيرفي، ويعرف أيضاً بأبي عمرو الداني، لنزوله بدانية بالأندلس، وُلِدَ سنة ٣٧١هـ.

رحلته في طلب العلم:

ابتدأ طلب العلم في سنة ست وثمانين وثلاثمائة، ورحل إلى المشرق سنة سبع وتسعين، فمكث بالقيروان أربعة أشهر يكتب عن علمائها، ثم توجه إلى مصر فمكث بها باقي العام والعام الذي يليه ، وقرأ بها القرآن، وكتب الحديث والفقه، والقراءات، ثم توجه إلى مكة للحج، وكتب بها عن أبي العباس أحمد البخاري، وعن أبي الحسن بن فراس، ثم عاد إلى مصر فمكث بها شهرًا، ثم انصرف إلى المغرب ومنها إلى الأندلس، فمكث بقرطبة ثم خرج إلى الثغرة فسكن سرقسطة سبعة أعوام، ودخل دانية سنة تسع وأربعمائة.

ورحلات الداني هذه كان بعضها طلبًا للسماع على الشيوخ وبعضها طلبًا للأمن والاستقرار بعد انتشار الفتن في أرجاء قرطبة، وقد استقر به المقام بدانية؛ لأن ملكها يومئذ مجاهد بن يوسف بن علي كان معتنيًا بعلم القراءات؛ يُكرم أهلها وله فيها نصيب وافر، فظل بدانية إلى أن توفي؛ رحمه الله.

مكانته العلمية في علم القراءات:

اجتهد في علم القراءات، وعرضها على الشيوخ في مدن الأندلس ومصر، ويقول: (ما رأيت شيئًا قط إلا كتبته، ولا كتبته إلا وحفظته، ولا حفظته فنسيته)، وكتابه جامع البيان أوضح دليل على سعة مروياته، هذا مع ما أوتيه من الضبط والتدقيق والمعرفة بتاريخ الرواة وطبقاتهم.

علم الحديث: له فيه حظ عظيم رواية ودراية، وله اعتناء بالأسانيد في الأحاديث المرفوعة، والآثار، وكلام السلف، مع معرفة برجال الحديث وعلم الجرح والتعديل، والمصطلح، قال عنه ابن بشكوال: (وله معرفة بالحديث وطرقه وأسماء رجاله ونقلته)، وكتابه (السنن الواردة في الفتن) شاهد على ذلك، قال الذهبي: (وكتاب الفتن الكائنة مجلد يدل على تبحُره في الحديث).

الفقه: نشأ الإمام الداني بقرطبة وأهلها يهتمون بالفقه، وقرأ على فقهائها، واعتمد على فقه الإمام مالك.

اللغة: كان متمكنًا من علم النحو، محيطًا بمذاهب النحويين واختلافهم، ويرجّح ما يراه صوابًا من أقوالهم.

عقيدته: كان على نهج أهل السنة في معتقدهم، متبعًا للكتاب والسنة، مجانبًا لأهل البدع والزيغ، يثبت أسماء الله تعالى وصفاته من غير تشبيه ولا تعطيل، يقول رحمه الله:

ومن صحيح ما أتى به الخبر

وشاع في الناس قديما وانتشر

نزول ربنا بلا امتراء

في كل ليلة إلى السماء

ويقول:

كلم موسى عبده تكليمًا

ولم يزل مدبرًا حكيمًا

شيوخه:

عدَّ سبعين شيخًا له، ومن أهمهم في القراءات: فارس بن أحمد بن موسى أبو الفتح الحمصي، وعبد العزيز بن جعفر الفارسي، ومحمد بن أحمد بن علي أبو مسلم البغدادي، وطاهر بن عبد المنعم بن عبيد الله بن غلبون، وخلف بن إبراهيم بن خاقان.

ومن شيوخه في الحديث: عبد الرحمن بن عثمان القشيري، ومحمد بن خليفة بن عبد الجبار، ويروي عن أئمة الحديث؛ أمثال البخاري ومسلم وأحمد والنسائي بأسانيد عالية.

ومن تلاميذه: ولده أبو العباس، وابراهيم بن خلف بن معاوية، وأبو داود سليمان بن أبي القاسم نجاح، وأبو تمام غالب بن عبيد الله القيسي، وأبو عبد الله محمد بن مزاحم، وخلق كثير.

مؤلفاته:

زادت على المائة، أغلبها في علم القراءات، وقد أثنى عليها العلماء.

قال الذهبي: (والقراء خاضعون لتصانيفه، واثقون بنقله في القراءات، والرسم، والتجويد، والوقف والابتداء، وغير ذلك).

وقال ابن الجزري: (ومن نظر كتبه علم مقدار الرجل، وما وهبه الله تعالى فيه، فسبحان الفتاح العليم).

ومن مصنفاته:

التيسير في القراءات السبع.

جامع البيان في القراءات السبع.

المكتفى في الوقف والابتدا.

المقنع في رسم المصحف.

الأرجوزة في أصول السنة.

المفردات.

الإمالات.

البيان في عد آي القرآن.

ثناء العلماء عليه:

قال الإمام أبو عبد الله محمد بن أبي نصر الحميدي: (طلب علم القراءات، وقرأ وسمع الكثير، وعاد إلى الأندلس؛ فتصدر بالقراءات، وألف فيها تواليف معروفة).

وقال أبو جعفر أحمد بن عبد الملك الضبي: (إمام وقته في الإقراء، محدّث مكثر أديب).

وقال الذهبي: (ما يزال القراء معترفين ببراعة أبي عمرو الداني، وتحقيقه واتقانه، وعليه عمدتهم فيما ينقله من الرسم والتجويد والوجوه).

وقال السيوطي: (وكان أحد الأئمة في علم القراءات ورواياته، وتفسيره، ومعانيه، وطرقه وإعرابه، وله معرفة بالحديث وطرقه ورجاله، من أهل الذكاء والحفظ والإتقان، دَيِّنًا فاضلاً، مجاب الدعوة).

وقال: (إلى أبي عمرو المنتهى في تحرير علم القراءات، وعلم المصاحف، مع البراعة في علم الحديث والتفسير والنحو).

وفاته:

توفي -رحمه الله- في النصف من شوال سنة ٤٤٤هـ.

وللحديث بقية إن شاء الله.

والحمد لله رب العالمين.

تراجم أئمة القراءات
الإمام ابن مجاهد

إعداد: د. أسامة صابر

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

ما يزال الحديث متصلاً عن تراجم أئمة القراءات القرآنية، وحديثنا في هذا العدد عن عَلَم من أعلام القراءات، وهو ابن مجاهد، فنقول وبالله تعالى التوفيق:

ابن مجاهد: هو أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد، أبو بكر البغدادي العطشي (نسبة إلى سوق العطش ببغداد)، المقرئ المحدِّث النحوي، شيخ عصره، ومصنِّف كتاب «السبعة» في القراءات.

ولادته: وُلِدَ سنة ٢٤٥هـ، ببغداد.

قرأ القرآن على أبي الزعراء بن عبدوس، وتلا عليه عشرين ختمة، وتلقن القرآن من عبد الله بن كثير، وحج وتلا على قنبل بمكة، وأخذ الحروف سماعًا من طائفة كثيرة منهم محمد بن عبد الرحيم الأصبهاني، ومحمد بن إسحق أبي ربيعة، ومحمد بن يحيى الكسائي الصغير، وتصدر للإقراء وذاع صيته، ورُحِلَ إليه من الأمصار.

قرأ عليه الكثير منهم: أبو طاهر عبد الواحد بن أبي هاشم، وصالح بن إدريس، وأبو بكر الشذائي، وأبو الفرج الشنبوذي، وأبو الحسين عبيد الله بن البواب، وأبو العباس المطوعي، وغيرهم.

سمع الحديث من سعدان بن نصر، وأحمد بن منصور الرمادي، ومحمد بن إسحاق الصاغاني، وغيرهم.

وكان ثقةً حُجَّةً.

وحدَّث عنه: عمر بن شاهين، وأبو بكر بن شاذان، وأبو الحسن الدارقطني، وغيرهم.

من أخلاقه:

قال الإمام الذهبي عنه: كان مع علمه ودينه ومعرفته بعلوم القرآن حَسَن الأدب، رقيق الخُلق، كثير المداعبة، جوادًا، ثاقب الفطنة.

ومن طرائفه أنه جاءه أبو محمد الحسن بن الكاتب، وكان غلامًا حَسَن الوجه، فقرأ عليه أيامًا فجعله في صدر المجلس، فقال أبو الحسن بن البواب: يا سيدي أخدمك منذ عشرين سنة، وأنا عند النعال، وهذا قد تصدَّر؟ فقال: يا بغيض، هات وجهًا مثل وجهه حتى أقعدك في حجري.

وسأله رجل: لمَ لا يختار الشيخ لنفسه حرفًا يُحْمَل عنه؟ (أي: لمَ لا يتخير قراءة تُنسب إليه وتروى عنه؟) فقال: نحن أحوج إلى أن نعمل أنفسنا في حفظ ما مضى عليه أئمتنا،

أحوج منا إلى اختيار حرف يُقرَأ به من بعدنا.

من مواقفه في نصرة الحق ورد البدع:

تصدَّى ابن مجاهد للحلاج الذي ادَّعى الحلول وما زال به حتى حبس وحُوكِم.

بيَّن خطأ ابن شنبوذ الذي كان يعتمد شواذ القراءات ويقرئ بها ويصلي بها، ولما جادله وحاول رده للصواب فلم يستجب رفع أمره إلى الوزير ابن مقلة الذي استدعاه، وأحضر القضاة والفقهاء وفي مقدمتهم ابن مجاهد لمناظرته، فأشاروا بعقوبته فارتدع، وتاب عن القراءة بكل ما خالف المصحف العثماني.

دفع بدعة ابن مقسم العطار الذي زعم أن كل ما صح له وجه في العربية لحرف من حروف القرآن المدوَّنة في المصحف العثماني تجوز القراءة به، فكان يقرأ بحروفٍ تخالف إجماع القراء والرواة فرفع ابن مجاهد أمره للحكام حتى تاب من بدعته.

ثناء العلماء عليه:

قال محمد بن إسحاق النديم في الفهرست: ابن مجاهد آخر من انتهت إليه الرئاسة بمدينة السلام، غير مدافع.

وقال أبو عمرو الداني: فاق ابن مجاهد في عصره سائر نظرائه من أهل صناعته، مع اتساع علمه، وبراعة فهمه، وصدق لهجته، وظهور نُسُكه.

قال ابن الجزري: «وبَعُدَ صيتُه، واشتهر أمره، وفاق نظراءه مع الدين والحفظ والخير، ولا أعلم أحدًا من شيوخ القراءات أكثر تلاميذ منه ولا بلغنا ازدحام الطلبة على أحد كازدحامهم عليه.

وذكر ابن الأخرم أنه دخل بغداد فرأى في حلقة ابن مجاهد نحوًا من ثلاثمائة مقرئ.

وقال علي بن عمر المقرئ: كان ابن مجاهد في حلقته أربعة وثمانون خليفة يأخذون على الناس.

وقال أحمد بن يحيى النحوي سنة ٢٨٦هـ: «ما بقي في عصرنا هذا أحدٌ أعلم بكتاب الله من أبي بكر بن مجاهد».

من مصنفاته:

كتاب القراءات الكبير، وكتاب القراءات الصغير، وكتاب الياءات، وكتاب الهاءات، وكتاب السبعة.

توفي - رحمه الله- سنة ٣٢٤هـ.

كتاب السبعة

تعددت القراءات في عصر ابن مجاهد وتوسعت حتى كان من العلماء مَن يصل بها إلى نحو من عشرين أو ثلاثين أو خمسين قراءة، وكان من الرواة من هو ثقة حُجَّة مدقِّق، ومنهم من ضعف ضبطه أو قل حظه من العربية، أو أدخل القراءات الشاذة، وضمَّها إلى المتواترة فظهر الاضطراب والاختلاف في القراءة مما دفع ابن مجاهد إلى أن يتحرَّى الصحيح المتواتر، وينفي ما عاداه فقام بعملٍ جليل لأمة الإسلام؛ حيث اختار قراءات سبعة مشهورة قرأ بها الأئمة في الأمصار التي حملت عنها القراءات في العالم الإسلامي، فاختار من المدينة نافعًا ومن مكة ابن كثير، ومن الكوفة عاصمًا وحمزة والكسائي، ومن البصرة أبا عمرو، ومن الشام ابن عامر، قال-رحمه الله- في مقدمة كتابه (السبعة): «وحملة القرآن متفاضلون في حمله، ولنقلة الحروف منازل في نقل حروفه، وأنا ذاكر منازلهم، ودالّ على الأئمة منهم، ومخبر عن القراءة التي عليها الناس بالحجاز والعراق والشام، وشارح مذاهب أهل القراءة، ومبيّن اختلافهم واتفاقهم إن شاء الله....»، وعمله هذا أجَلَّه علماء عصره، فكان عاصمًا من الاضطراب والاختلاف في كتاب الله.

ثم إن ابن مجاهد-رحمه الله- صنَّف كذلك في القراءات الشاذة مصنَّفًا كان الأصل الذي اعتمد عليه ابن جني في كتابه (المحتسب)؛ فميَّز ابن مجاهد بذلك بين المتواتر والشاذ، وتبعه جمهور العلماء والقراء في اختياره، وضمُّوا للسبعة أبا جعفر ويعقوب وخلفًا، فانتظم عقد القراءات العشر المتواترة.

وللحديث بقية إن شاء الله، والحمد لله رب العالمين.

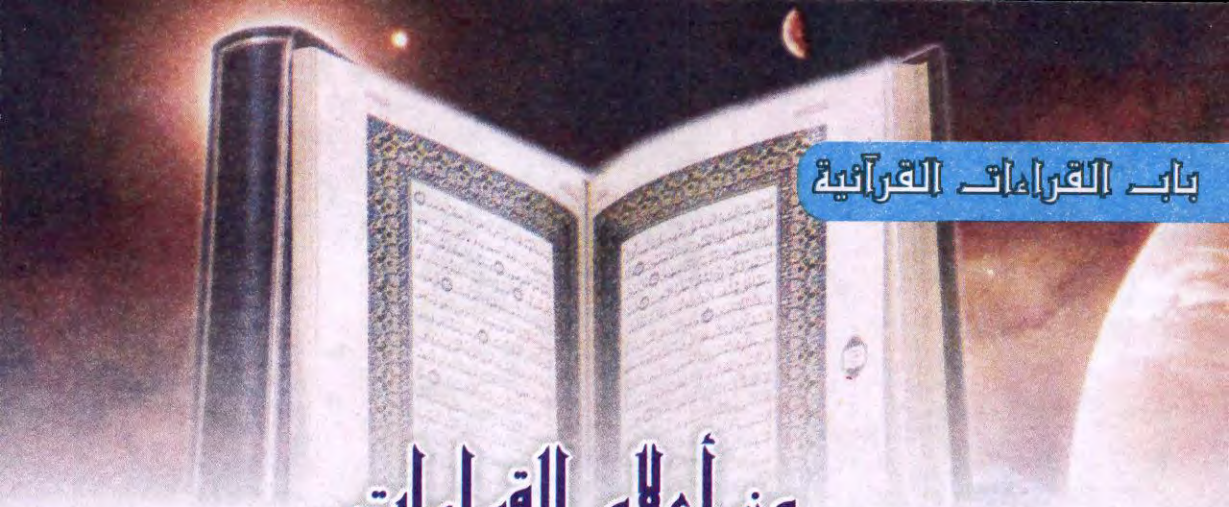

من أعلام القراءات
الشيخ محمد المتولي

إعداد: د. أسامة صابر

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

حديثنا بعون الله في هذا العدد عن عَلَم من أعلام القراءات في العصر الحديث؛ إنه الشيخ العلامة محمد المتولي، خاتمة المحققين، وشيخ المقارئ المصرية في زمنه، والذي كان يُلَقَّب بـ(ابن الجزري الصغير).

اسمه ونسبه:

هو محمد بن أحمد بن الحسن بن سليمان الشهير بالمتولي.

مولده:

وُلِدَ سنة ١٢٤٨هـ- ١٨٣٢م بالدرب الأحمر بالقاهرة.

صفاته وأخلاقه:

كان ضريرًا (مكفوف البصر)، قصيرًا، أحدب الظهر.

تواضعه:

كان في مقدمة كتبه وخواتيمها يصف نفسه بالعجز والفقر والتقصير، ويترحم على من رأى زللًا أو خطأ بكتبه فبيَّنه وأصلحه، ويدعو أن تكون مؤلفاته خالصة لوجه الله.

مَرَّ به فقير فسأله وأراد أن يُقَبِّل يده، فأعطاه المتولي -رحمه الله- قرشًا وقبَّل هو يد السائل.

وجلس مرة في مقرأة ولما انتهى الدور إليه، أخذ بعض الحاضرين يصحح له وهو لا يعرفه، والشيخ يُقَبِّل منه بصدر رحب، فلما انتهى قال له: من أي البلاد أنت؟ فقال المتولي: من القاهرة، قال: فإذا رجعت إلى بلدك فاقرأ على شيخ القراء متولي!!

عزة النفس:

كان الشيخ الهنيدي تلميذًا له يقرأ عليه، ثم انقطع فترة، فسأله المتولي عن سبب انقطاعه، فأجابه بأنه لم يكن عنده مال يعطيه إياه أجرًا على إقرائه، فقال المتولي: نحن كالملوك لا نطلب ولا نرد.

الفراسة:

يروي الشيخ علي الضباع فيقول: (كنت غلامًا لا أزال أحفظ القرآن، وكان الشيخ المتولي - رحمه الله- شيخًا للمقارئ، وفي آخر حياته، فكانت وصيته لابن أخته أو صهره: أن اعتنِ بتحفيظ هذا الغلام القرآن، وعلِّمه القراءات، وحوِّل إليه كتبي بعد مماتي، وكان أن صار هذا الغلام (الضباع) شيخ المقارئ ومن كبار علماء القراءات.

كان الشيخ يتمتع بقوة الحافظة، وسعة الاطلاع، والقدرة العظيمة على التأليف نثرًا ونظمًا.

يخبر عنه تلميذه الشيخ الهنيدي أنه كان معه في دار الكتب يقرأ عليه من كتب القراءات، وما أن يفرغ الهنيدي من القراءة حتى يملي المتولي ما سمعه نظمًا في الحال.

طلبه للعلم وثناء العلماء عليه:

لما أتمَّ حفظ القرآن، التحق بالأزهر وتعلَّم العلوم الشرعية والعربية، واهتم بعلم القراءات فحفظ متونه، وبرع فيه وتفرغ للإقراء والتأليف، وانتهت

إليه مشيخة المقارئ والإقراء بالديار المصرية سنة ١٢٩٣هـ-١٨٧٦م، وحظيت مؤلفاته باهتمام العلماء وطلاب علم القراءات، وعلى تحريراته على الطيبة العمل إلى الآن.

قال عنه محمد بن عبد الرحمن البنا:

قال الإمام شيخنا محمد

المتولي الحبر نعم المفرد

وقال حسن الحسيني عنه:

هو الحبر ذو التحقيق قدوة عصره

محمد المتولي عمدة من تلا

وقال الضباع عنه: (الأستاذ العالم العلامة، الحَبْر البَحْر الفهَّامَة، المُحَقِّق المدقِّق، المتقن الضابط...).

شيوخه في القراءة:

أخذ المتولي -رحمه الله- القراءات العشر عن شيخين هما: يوسف البرموني، وأحمد الدري التهامي، وكان قد لازم شيخه التهامي، وأكثر الأخذ عنه، وسنده عال؛ حيث إنه بين المتولي وبين ابن الجزري (الذي ترجع إليه الأسانيد) أحد عشر رجلاً، وبين المتولي ورسول الله- صلى الله عليه وسلم- في أحد أسانيده العالية خمسة وعشرون رجلاً.

تلاميذه:

قرأ عليه كثير من كبار العلماء والقراء، وبارك الله في تلاميذه؛ فتصدروا للإقراء ونشر علم القراءات، ومنهم:

١- حسن بن خلف الحسيني، وقد أخذ عنه جماعة منهم ابن أخيه محمد بن علي الحسيني المعروف بالحداد وهو شيخ المقارئ في زمانه.

٢- حسن بن محمد بدير الجريسي (المعروف بالجريسي الكبير).

٣- حسين موسى شرف الدين: أخذ عن المتولي القراءات ونزل دمشق ودرس بها.

٤- خليل محمد غنيم الجناييني: وقد أخذ عنه علماء كثر، منهم: حنفي السقا (وقد أخذ عنه الشيخ إبراهيم شحاتة السمنودي)، وعبد الله البطران (وعنه أخذ عبد الفتاح المرصفي).

٥- رضوان بن محمد بن سليمان المخللاتي: من كبار علماء القراءات والرسم العثماني، وكان من أعظم أعماله كتابة مصحف على الرسم العثماني، وعلى هذا المصحف عَوَّل العلماء في عصره وبعد عصره.

٦- عبد الفتاح هنيدي: وعليه قرأ أربعمائة طالب منهم: الشيخ محمد رفعت، والشيخ المقرئ الكبير أحمد عبد العزيز الزيات.

٧- محمد بن عبد الرحمن البنا.

٨- حسن يحيى الكتبي: وهو صهر المتولي.

٩- عبد الرحمن بن حسين الخطيب الشعار، وعنه وعن الكتبي أخذ الشيخ الضباع.

دفاعه عن علم القراءات:

كان له -رحمه الله- جهود عظيمة في الدفاع عن علوم القراءات، وردّ الشبهات عنها، ومن ذلك أن بعضهم زعم أن القراءات لم تصل بسند عن النبي صلى الله عليه وسلم فَرَدَّ عليهم في رسالة يقول في مقدمتها: (هذه عجالة تشتمل على أسانيد الأئمة القراء الأربعة عشر الذين اتصل سندنا بهم.... هذا وإن الباعث على ذلك أنه بلغني عن بعض أهل عصرنا هذا أنه يزعم أن هذه القراءات لم تكن مروية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإنما هو اختراع من أئمة هذا الشأن، ولم يكن لهم مسند في ذلك، وهذه فتنة عظيمة، وجرأة جسيمة، أعاذنا الله وإخواننا من مضلات الفتن، وعافانا وإياهم من جميع المِحَن).

ولما زعَم بعض العلماء أن الضاد كالظاء المعجمة في اللفظ والسمع تصدَّى المتولي لهذه الفتنة، ورفع الأمر إلى شيخ الأزهر، فاستُتيبَ هذا الزاعم فلم يَتُبْ فحُكِمَ بنفيه.

مؤلفاته:

زادت مؤلفاته على الأربعين في علوم القراءات، ومنها:

١- مقدمة رواية ورش.

٢- فتح المجيد في قراءة حمزة من القصيد.

٣- منظومة رواية قالون.

٤- الكوكب الدري في قراءة أبي عمرو البصري.

٥- توضيح المقام في الوقف على الهمزة لحمزة وهشام.

٦- فتح الكريم في تحرير أوجه القرآن الحكيم.

٧- الروض النضير في تحرير أوجه الكتاب المنير.

٨- الوجوه المسفرة في القراءات الثلاث.

٩- عزو الطرق.

١٠- الفوائد المعتبرة في الأحرف الأربعة الزائدة على العشرة.

١١- اللؤلؤ المنظوم في ذكر جملة المرسوم.

١٢- تحقيق البيان في عدّ آي القرآن.

وفاته:

توفي -رحمه الله- يوم الخميس الحادي عشر من ربيع الأول سنة ١٣١٣هـ- ١٨٩٥م عن خمس وستين سنة، ودُفِنَ بالقرافة الكبرى بالقاهرة.

فضل حملة القرآن

إعداد د. أسامة صابر

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

تناولنا في حلقات سابقة نبذة من تراجم القراء العشرة ورواتهم، ثم أتبعناهم بسيَر مختصرة لبعض أعلام القراءات، وسنبدأ بعون الله في ذكر طرف من فضل حَمَلة القرآن وجميل أخلاقهم؛ عسى الله أن يجعلنا منهم، وأن يحشرنا في زمرتهم.

فمن فضل حملة القرآن:

١- أن الله عز وجل اصطفاهم من خلقه لحمل كتابه:

قال تعالى: « ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ » (سورة فاطر:٣٢).

قال ابن عباس: «هم أمة محمد صلى الله عليه وسلم، ورثهم الله كل كتاب أنزله، فظالمهم يُغفَر له، ومقتصدهم يُحاسَب حسابًا يسيرًا، وسابقهم يدخل الجنة بغير حساب».

وهذه الآية من أرجى آيات الكتاب العزيز، فقد شملت أمة الإسلام، والعلماء أغبط الناس بهذه النعمة.

ثم بيَّن الله تعالى جزاءهم؛ فقال: « جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٣٣﴾ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾ الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ » (سورة فاطر: ٣٣-٣٥).

٢- أن أهل القرآن هم أهل الله وخاصته:

عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إن لله تعالى أهلين من الناس: أهل القرآن، هم أهل الله وخاصته» (صحيح الجامع ٢١٦٥).

وأهل القرآن هم حَفَظته العاملون به؛ يقرؤونه آناء الليل وأطراف النهار، هم أولياء الله والمختصون به.

٣- تجارتهم مع الله رابحة:

قال تعالى: « إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَنْ تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ » (سورة فاطر: ٢٩-٣٠).

قال ابن كثير -رحمه الله-: «يخبر تعالى عن عباده المؤمنين الذين يتلون كتابه ويؤمنون به، ويعملون بما فيه من إقام الصلاة، والإنفاق مما رزقهم الله في الأوقات المشروعة ليلاً ونهارًا، سرًّا وعلانية (يرجون تجارة لن تبور) أي: يرجون ثوابًا عند الله لا بد من حصوله».

وكان مطرف -رحمه الله- إذا قرأ هذه الآية يقول: هذه آية القُرَّاء.

٤- حَمَلة القرآن مع السفرة الكرام البررة:

في الصحيحين (واللفظ لمسلم) عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة، والذي يقرأ القرآن ويتتعتع فيه، وهو عليه شاق، له أجران» (صحيح مسلم رقم ٧٩٨).

قال النووي-رحمه الله-: «والماهر: الحاذق الكامل الحفظ الذي لا يتوقف، ولا يشق عليه القراءة بجودة حفظه وإتقانه».

فحملة القرآن كما أنهم اتصفوا بصفة الملائكة من حمل كتاب الله فهم في الآخرة يرافقون الملائكة في منازلهم

٥- أهل الرفعة وعلو المكانة:

روى الإمام مسلم بسنده عن عامر بن واثلة، أن نافع بن عبد الحارث لقي عمر بعسفان، وكان عمر يستعمله على مكة، فقال: مَن استعملت على أهل الوادي؟ فقال: ابن أبزى. قال: ومن ابن أبزى؟ قال: مولى من موالينا. قال: فاستخلفت عليهم مولى؟ قال: إنه قارئ لكتاب الله عز وجل، وإنه عالم بالفرائض. قال عمر: أما إن نبيكم صلى الله عليه وسلم قد قال: «إن الله يرفع بهذا الكتاب أقوامًا، ويضع به آخرين» (صحيح مسلم رقم ٨١٧)

٦- يشفع لهم القرآن يوم القيامة

عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «اقرؤوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعًا لأصحابه» (صحيح مسلم رقم ٨٠٤).

٧- يرقون إلى درجات الجنة على قدر حفظهم وإتقانهم:

عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يقال لصاحب القرآن اقرأ وارتق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا؛ فإن منزلك (منزلتك) عند آخر آية تقرؤها» (صحيح لغيره: سنن أبي داود رقم ١٤٦٤).

قال الخطابي: «يقال للقارئ: ارق في الدَّرَج على قَدْر ما كنت تقرأ من آي القرآن، فمن استوفى قراءة جميع آي القرآن استولى على أقصى الدرج؛ درج الجنة، ومن قرأ جزءًا منها كان رُقِيه في الجنة في الدرج على عدد ذلك، فيكون منتهى الثواب عند منتهى القراءة».

وللحديث بقية إن شاء الله، والحمد لله رب العالمين.

من أخلاق حملة القرآن

الإخلاص

إعداد: د. أسامة صابر

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

فقد ذكرنا في العدد السابق بعض فضائل حملة القرآن، ونشرع في ذكر أهم صفاتهم وأخلاقهم، ومن أعظمها: إخلاص العمل لله عز وجل، فهم يتعلمون القرآن ويعلمونه ويتلونه لوجه الله لا يبتغون به عرضًا من الدنيا.

والإخلاص كما عرفه الكفوي رحمه الله: "هو القصد بالعبادة إلى أن يعبد المعبود بها وحده، وقيل: تصفية السر، والقول، والعمل".

وقال الجرجاني: "الإخلاص: ألا تطلب لعملك شاهدًا غير الله تعالى".

قال تعالى: ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ﴾ (البينة: ٥)، وقال تعالى: ﴿ قُلۡ إِن تُخۡفُواْ مَا فِي صُدُورِكُمۡ أَوۡ تُبۡدُوهُ يَعۡلَمۡهُ ٱللَّهُ ﴾ (آل عمران: ٢٩).

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى).

وإذا تدبر العبد حديث النبي صلى الله عليه وسلم: (لا حسد إلا في اثنتين؛ رجل آتاه الله القرآن).. الحديث؛ علم أن حفظ القرآن هبة من عند الله يؤتيه من يشاء من عباده، ولذا فهو يخلص ويقوم به آناء الليل وآناء النهار، وإذا تفكر في الأمثال التي ضربها النبي صلى الله عليه وسلم فيمن يقرأ القرآن اختار لنفسه أعلاها، وهو الأترجة؛ ريحها طيب وطعمها طيب، وهو مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن، وخشي على نفسه من مثل السوء وهو مثل المنافق الذي يقرأ القرآن.

نماذج من إخلاص حملة القرآن:

إبراهيم النخعي: "كان إذا قرأ في المصحف فدخل داخل غطاه".

الربيع بن خثيم: "كان عمله كله سرًا، إن كان ليجيء الرجل وقد نشر المصحف فيغطيه بثوبه".

إمام أهل السنة أحمد بن حنبل: قال عنه تلميذه أبو بكر المروزي: "كنت مع أبي عبد الله نحوًا من أربعة أشهر بالعسكر، وكان لا يدع قيام الليل وقراءات النهار، فما علمت بختمة ختمها، وكان يسر بذلك".

الحذر من تعلم القرآن وتعليمه لعَرَض من الدنيا:

قال الإمام النووي رحمه الله في كتابه (التبيان في آداب حملة القرآن): (ينبغي ألا يقصد به توصلاً إلى عرض من أعراض الدنيا، من مال أو رياسة أو وجاهة، أو ارتفاع على أقرانه، أو ثناء عند الناس، أو صرف وجوه الناس إليه، أو نحو ذلك).

قال تعالى: ﴿ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرۡثَ ٱلدُّنۡيَا نُؤۡتِهِۦ مِنۡهَا وَمَا لَهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِن نَّصِيبٖ ﴾ (الشورى: ٢٠)، وقال تعالى: ﴿ مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡعَاجِلَةَ عَجَّلۡنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلۡنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصۡلَىٰهَا مَذۡمُومٗا مَّدۡحُورٗا ﴾ (الإسراء: ١٨).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (مَن تعلم علمًا مما يُبتَغى به وجه الله تعالى، لا يتعلمه إلا ليصيب به عرضًا من أعراض الدنيا لم يجد عَرْف الجنة يوم القيامة) (صحيح؛ رواه أبوداود: رقم ٣٦٦٤).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ يُقْضَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَيْهِ رَجُلٌ اسْتُشْهِدَ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: قَاتَلْتُ فِيكَ حَتَّى اسْتُشْهِدْتُ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ قَاتَلْتَ لأَنْ يُقَالَ: جَرِيءٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ.

وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ، وَعَلَّمَهُ وَقَرَأَ الْقُرْآنَ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: تَعَلَّمْتُ الْعِلْمَ، وَعَلَّمْتُهُ وَقَرَأْتُ فِيكَ الْقُرْآنَ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ الْعِلْمَ لِيُقَالَ: عَالِمٌ، وَقَرَأْتَ الْقُرْآنَ لِيُقَالَ: هُوَ قَارِئٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ.

وَرَجُلٌ وَسَّعَ اللهُ عَلَيْهِ، وَأَعْطَاهُ مِنْ أَصْنَافِ الْمَالِ كُلِّهِ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: مَا تَرَكْتُ مِنْ سَبِيلٍ تُحِبُّ أَنْ يُنْفَقَ فِيهَا إِلَّا أَنْفَقْتُ فِيهَا لَكَ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ فَعَلْتَ لِيُقَالَ: هُوَ جَوَادٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ، ثُمَّ أُلْقِيَ فِي النَّارِ" (صحيح مسلم: ١٩٠٥).

وعن عمران بن حصين أنه مر على قارئ يقرأ ثم سأل، فاسترجع ثم قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (من قرأ القرآن فليسأل الله به، فإنه سيجيء أقوام يقرؤون القرآن يسألون به الناس) (أخرجه أحمد والترمذي وصححه الألباني في الصحيحة: ٢٥٧).

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (تعلموا القرآن، وسلوا الله به الجنة قبل أن يتعلمه قوم يسألون به الدنيا، فإن القرآن يتعلمه ثلاثة: رجل يباهي به، ورجل يستأكل به، ورجل يقرأه لله) (السلسلة الصحيحة: ٢٥٨).

وعن جابر بن عبد الله قال: (خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نقرأ القرآن، وفينا الأعرابي والأعجمي، فقال: اقرؤوا فكل حسن، وسيجيء أقوام يقيمونه كما يقام القدح، يتعجلونه ولا يتأجلونه) (رواه أحمد وأبو داود وصححه الألباني في الصحيحة: ٢٥٩).

من علامات من قرأ القرآن لا يريد به وجه الله:

من الأمور التي تنافي الإخلاص والتي نذكرها للتحذير منها، وقد اختصرتها من كتاب (أخلاق حملة القرآن) للآجري، وكتاب (التبيان في آداب حملة القرآن) للنووي:

- قصد التكبر بكثرة المشتغلين عليه، وكراهة أن يقرأ أصحابُه على غيره، فإنه لو أراد الله بتعليمه لما كره ذلك، بل يقول لنفسه: أنا أردت الطاعة بتعليمه وقد حصلت، وهو قصد بقراءته على غيري زيادة علم، فلا عتب عليه.
- مخالفة عمله علمه، وسريرته علانيته.
- يحفظ القرآن ويقيم حروفه ويضيع حدوده، وإن أخطأ في حرف ساءه ذلك لئلا ينقص جاهه عند المخلوقين.
- يتخذ القرآن بضاعة يتأكل به الأغنياء، ويستقضي به الحوائج.
- إن علم الغني رفق به لدنياه، وإن علم الفقير زجره وعنَّفه؛ لأنه لا دنيا له يطمع فيها.
- يفخر على الناس بالقرآن، ويتباهى بما عنده من فضل علم على أقرانه.
- يغضب إن قصَّر أحد في حقه.
- لا يبالي من أين اكتسب من حلال أو من حرام.
- لا يتأدب بأدب القرآن، ولا يتفكر في معانيه ولا يزجر نفسه عند الوعد والوعيد.
- قليل النظر في العلم الذي هو واجب عليه؛ للقيام بأمر دينه، كثير النظر في العلم الذي يتزين به أمام الناس.
- يظهر ختمه للقرآن؛ رغبةً في ثناء الناس عليه.
- إن ذُكِرَ عنده رجلٌ من أهل القرآن بالصلاح كره ذلك، وإن ذُكِرَ عنده بمكروه سرَّه ذلك.
- يتتبع عيوب أهل القرآن، ويتمنى أن يخطئ غيره ليكون هو المصيب.

نسأل الله عز وجل أن يرزقنا الإخلاص في القول والعمل، وأن يجعلنا ممن قرأ القرآن ابتغاء وجهه الكريم؛ إنه هو السميع العليم.

من أخلاق حملة القرآن

الصبر على تعلمه والرحلة في طلبه

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

فما يزال الحديث متصلاً عن أخلاق حملة القرآن الكريم، واليوم نتحدث عن صبر حملة القرآن، فنقول وبالله تعالى التوفيق:

إن الصبر خُلق عظيم، وهو زاد طالب العلم لنَيل مراده، وبه تُنَال الإمامة في الدين، كما قال تعالى: « وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ » (السجدة: ٢٤)، وقد قال موسى -صلى الله عليه وسلم- للخضر لما أراد صحبته ليتعلم منه «سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا» (الكهف: ٦٩).

إعداد: د. أسامة صابر

إن الصبر ضروري لحفظ القرآن، قال أبو عبدالرحمن السلمي: "حدثنا الذين كانوا يقرئوننا القرآن أنهم كانوا لا يتجاوزون عشر آيات حتى يعلموا ما فيهن من العلم والعمل، قالوا: فتعلمنا العلم والعمل جميعًا".

وقد يقبل البعض على حفظ القرآن بحماس وهمَّة، ويعزم على حفظه في أشهر قلائل، ولكنه عما قليل تفتر همَّته، ويدع الحفظ، ويتفلت منه ما حفظه؛ لأنه لم يتحلَّ بالصبر.

وبالصبر على حفظ المتون في التجويد والقراءات تُحاز الفنون، ويرسخ العلم وينضبط، وقد يتحمَّس البعض لتعلم القراءات، ويحفظ أبياتًا من الشاطبية، ويلتحق بحلقة عادة ما تبدأ بأعداد غفيرة ثم تتناقص وتفتر الهمَم، ولا يفوز بالمراد من هذا العلم المبارك إلا مَن تحلَّى بالصبر على طول زمن المدارسة والطلب.

وبالصبر على ملازمة الشيوخ والقراءة عليهم يُتقن الطالب التلاوة ويُقوِّم لسانه، قال الإمام النووي رحمه الله في كتابه (التبيان في آداب حملة القرآن): "ومن آدابه أن يتحمَّل جفوة الشيخ، وسوء خُلقه، ولا يَصُدُّه ذلك عن ملازمته"، وقال: "إذا جفاه الشيخ ابتدأ هو بالاعتذار إلى الشيخ، وأظهر أن الذنب له، والعتب عليه، فذلك أنفع له في الدنيا والآخرة، وأبقى لقلب الشيخ له. وقد قالوا: مَن لم يصبر على ذلّ التعلم بقي عمره في عماية الجهالة، ومَن صبَر عليه آل أمره إلى عز الآخرة والدنيا".

ومن طلبة علم القراءات مَن يتعجَّل في القراءة على الشيوخ، وهمه الشاغل الحصول على الإجازة، ولا يصبر على عرض الأوجه مع دقة التحريرات، فيفوته الإتقان والضبط. وصدق القائل:

أخي لن تنال العلم إلا بستة
سأُنبيك عن تفصيلها ببيان
ذكاء وحرص واصطبار وبُلغة
وصحبة أستاذ وطول زمان

وهذه ومضات من أحوال أهل القرآن تُبيِّن صبرهم على تعلُّمه:

- اليزيدي (وهو الإمام أبو محمد يحيى بن المبارك البصري المقرئ النحوي)، نقل قراءة أبي عمرو، وضَبَطها، وأخذ عنه علوم العربية، قال عنه الفضل بن شاذان: كان اليزيدي مؤدِّبًا على باب أبي عمرو،

وكان يخدمه في حوائجه، وربما أمسك المصحف على أبي عمرو فقرأ عليه.

- شعبة (أبو بكر بن عياش الكوفي): قال: "تعلمت من عاصم القرآن كما يتعلم الصبي من المعلم"، وقال: "تعلمت من عاصم خمسًا خمسًا، واختلفت إليه نحوًا من ثلاث سنين في الحر والشتاء والمطر".

- محمد بن علي السلمي: قمت ليلة سحرًا لأخذ النوبة (أي: للقراءة) على ابن الأخرم، فوجدت قد سبقني ثلاثون قارئًا، ولم تدركني النوبة إلى العصر.

صور من علو همتهم في الرحلة لطلب القرآن الكريم:

- ورش (عثمان بن سعيد شيخ الإقراء بمصر) يروي قصة رحلته إلى الإمام نافع للقراءة عليه فيقول، فيما نقله أبو عمرو الداني بسنده عنه: خرجت من مصر لأقرأ على نافع، فلما وصلت إلى المدينة صرت إلى مسجد نافع، فإذا هو لا تُطاق القراءة عليه من كثرتهم، وإنما يُقرئ ثلاثين، فجلست خلف الحلقة، وقلتُ لإنسان من أكبر النّاس عند نافع فقال لي: كبير الجعفريين فقلت: فكيف به؟ قال: أنا أجيء معك إلى منزله، وجئنا إلى منزله فخرج شيخ فقلتُ: أنا من مصر جئتُ لأقرأ على نافع فلم أصل إليه وأُخبرتُ أنّك من أصدق النّاس له وأنا أريد أن تكون الوسيلة إليه، فقال: نعم وكرامة وأخذ طيلسانه ومضى معنا إلى نافع وكان لنافع كنيتان أبو رويم وأبو عبدالله؛ فبأيّهما نُودِيَ أجاب فقال له الجعفريُ: هذا وسيلتي إليكَ جاء من مصر ليس معه تجارة ولا جاء لحجّ إنّما جاء للقراءة خاصّة، فقال: ترى ما ألقى من أبناء المهاجرين والأنصار فقال صديقه: تحتال له، فقال لي نافع: أيمكنك أن تبيت في المسجد؟ قلت: نعم فبتُّ في المسجد فلمّا أن كان الفجر جاء نافع فقال: ما فعل الغريب؟ فقلتُ: ها أنا رحمك الله قال: أنتَ أولى بالقراءة، قال: وكنتُ مع ذلك حسنَ الصوت مَدّادًا به فاستفتحتُ فملأ صوتي مسجدَ رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرأتُ ثلاثين آية فأشار بيده أن اسكت فسكت، فقام إليه شاب من الحلقة، فقال: يا معلم- أعزّك الله- نحن معك وهذا رجل غريب وإنما رحل للقراءة عليك وقد جعلتُ له عشرًا، وأقتصرُ على عشرين، فقال: نعم وكرامة فقرأتُ عشرًا، فقام فتى آخر: فقال كقول صاحبه فقرأتُ عشرًا وقعدتُ حتى لم يبق له أحد ممن له قراءة، فقال لي: اقرأ فأقرأني خمسين آية، فما زلتُ أقرأ عليه خمسين في خمسين حتى قرأتُ عليه ختمات قبل أن أخرج من المدينة.

فتأمل إيثار هؤلاء الطلاب للإمام ورش بوقتهم، فهؤلاء لم يُذْكَرُوا ونُسِيَتْ أسماؤهم، وبقيت قراءة ورش معلمًا في علم القراءات، فرضي الله عن هؤلاء الذين آثروا ورشًا بوقتهم من الإمام نافع، ورحم الله أهل القرآن على مَرّ العصور.

- مكي بن أبي طالب المغربي القيرواني: سافر إلى مصر وهو ابن ثلاث عشرة سنة، وأكمل القرآن ورجع إلى القيروان، ثم ارتحل فقرأ القراءات على ابن غلبون، ثم دخل الأندلس وجلس للإقراء بجامع قرطبة.

- الهذلي (يوسف بن عبد الله بن جبارة الإمام أبو القاسم الهذلي المغربي صاحب كتاب الكامل): ارتحل من بلده إلى مصر، والحجاز، والشام، والعراق، وأصبهان، وخراسان، وما وراء النهر، وإقليم الترك، وقال: "فجملة مَن لقيت في هذا العلم (يعني الشيوخ الذين قرأ عليهم) ثلاثمائة وخمسة وستون شيخًا من آخر المغرب إلى باب فرغانة، يمينًا وشمالاً، وجبلاً وبحرًا، ولو علمت أحدًا يُقَدِّمُ عليَّ في هذه الطريقة في جميع بلاد الإسلام لقصدته".

- الإمام أبو العلاء الهمذاني العطار (الحسن بن أحمد بن أحمد بن محمد بن سهل)، مؤلف كتاب "الغاية في القراءات العشر"؛ رحل في طلب القراءات، والحديث إلى أصبهان، وبغداد. وكان من أبناء التجار فأنفق جميع ما ورثه في طلب العلم حتى سافر إلى بغداد، وأصبهان مرات ماشيًا، وكان يحمل كتبه على ظهره، وكان يقرئ نصف نهاره القرآن والعلم، ونصفه الآخر الحديث.

- ونختم بأبيات أثنى فيها الإمام الشاطبي على أهل القرآن بصفاتهم الحميدة، وحثَّ على المنافسة فيها؛ فقال رحمه الله:

أولئك أهل الله والصفوة الملا
أولو البر والإحسان والصبر والتقى
حلاهم بها جاء القرآن مفصلا
عليك بها ما عشت فيها منافسًا
وبع نفسك الدنيا بأنفاسها العلا

نسأل الله أن يجعلنا من أهل القرآن الذين هم أهل الله وخاصته، وأن يُعلمنا من القرآن ما جَهلنا، ويرزقنا الصبر على تحمُّله وتعلُّمه وتعليمه؛ إنه ولي ذلك والقادر عليه.

من أخلاق حملة القرآن

يتلونه آناء الليل

إعداد د. أسامة صابر

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وآله وصحبه ومن والاه، وبعدُ:

إن من سمات أهل القرآن الإكثار من تلاوته بالليل؛ حيث يهدأ الكون وتخشع النفس وتطيب المناجاة؛ قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا ۝٢ نِّصۡفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصۡ مِنۡهُ قَلِيلًا ۝٣ أَوۡ زِدۡ عَلَيۡهِ وَرَتِّلِ ٱلۡقُرۡءَانَ تَرۡتِيلًا ۝٤ إِنَّا سَنُلۡقِي عَلَيۡكَ قَوۡلٗا ثَقِيلًا ۝٥ إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيۡلِ هِيَ أَشَدُّ وَطۡئٗا وَأَقۡوَمُ قِيلٗا﴾ (المزمل: ١-٦).

يأمر الله عز وجل رسوله صلى الله عليه وسلم أن يترك التزمل، وهو التغطي في الليل وينهض إلى القيام لربه عز وجل كما أمره فقال: ﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا﴾ (الإسراء:٧٩)، وبيَّن له مقدار القيام وكيفية القراءة بأن يقرأ القرآن على تمهل فإنه عون على فهم القرآن وتدبره، وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ السورة فيرتلها حتى تكون أطول من أطول منها، وناشئة الليل هي ساعاته وأوقاته وهي الآنات وقراءة القرآن فيها أجمع للخاطر وأعون على تفهم القرآن وهي أشد مكابدة واحتمالاً، ولذا كانت أعظم في الأجر، وقرأ أبو عمرو وابن عامر (وطاء) بكسر الواو وفتح الطاء والمد فهي مصدر (واطأ وطاء) على معنى: يواطئ السمع القلب في الليل.

ومدح الله من قبلنا من مؤمني أهل الكتاب فقال: ﴿مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ أُمَّةٞ قَآئِمَةٞ يَتۡلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ وَهُمۡ يَسۡجُدُونَ﴾ (آل عمران:١١٣).

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من قام بعشر آيات لم يُكتب من الغافلين، ومن قام بمائة آية كُتِبَ من القانتين، ومن قام بألف آية كُتِبَ من المقنطرين) (صحيح أخرجه أبو داود: ١٣٩٨).

قال الإمام النووي رحمه الله في كتابه (التبيان في آداب حملة القرآن): (وإنما رجحت صلاة الليل وقراءته لكونها أجمع للقلب، وأبعد من الشاغلات والملهيات والتصرف في الحاجات، وأصون من الرياء وغيره من المحبطات مع ما جاء الشرع به من إيجاد الخيرات في الليل، فإن الإسراء برسول الله صلى الله عليه كان ليلاً وحديث (ينزل ربكم كل ليلة إلى سماء الدنيا

حين يمضي شطر الليل، فيقول: هل من داع فأستجيب له) الحديث، وفي الصحيح أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قال: (في الليل ساعة يُستجاب فيها الدعاء كل ليلة).

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (لا حسد إلا على اثنتين: رجل آتاه الله الكتاب وقام به آناء الليل، ورجل أعطاه الله مالاً فهو يتصدق به آناء الليل وآناء النهار) (البخاري: ٥٠٢٥).

قال ابن مسعود رضي الله عنه: "ينبغي لحامل القرآن أن يعرف بليله إذا الناس نائمون".

رسول الله صلى الله عليه وسلم خير من قام بالقرآن في الليل:

عَنْ حُذَيْفَةَ، قَالَ: صَلَّيْتُ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ لَيْلَةٍ، فَافْتَتَحَ الْبَقَرَةَ، فَقُلْتُ: يَرْكَعُ عِنْدَ الْمِائَةِ، ثُمَّ مَضَى، فَقُلْتُ: يُصَلِّي بِهَا فِي رَكْعَةٍ، فَمَضَى، فَقُلْتُ: يَرْكَعُ بِهَا، ثُمَّ افْتَتَحَ النِّسَاءَ، فَقَرَأَهَا، ثُمَّ افْتَتَحَ آلَ عِمْرَانَ، فَقَرَأَهَا، يَقْرَأُ مُتَرَسِّلًا، إِذَا مَرَّ بِآيَةٍ فِيهَا تَسْبِيحٌ سَبَّحَ، وَإِذَا مَرَّ بِسُؤَالٍ سَأَلَ، وَإِذَا مَرَّ بِتَعَوُّذٍ تَعَوَّذَ، ثُمَّ رَكَعَ، فَجَعَلَ يَقُولُ: سُبْحَانَ رَبِّيَ الْعَظِيمِ، فَكَانَ رُكُوعُهُ نَحْوًا مِنْ قِيَامِهِ، ثُمَّ قَالَ: سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ، ثُمَّ قَامَ طَوِيلًا قَرِيبًا مِمَّا رَكَعَ، ثُمَّ سَجَدَ، فَقَالَ: سُبْحَانَ رَبِّيَ الْأَعْلَى، فَكَانَ سُجُودُهُ قَرِيبًا مِنْ قِيَامِهِ. (مسلم ٧٧٢)

عثمان بن عفان رضي الله عنه: كان يحيي الليل كله بالقرآن.

عبد الله بن عباس رضي الله عنه: قال ابن أبي مليكة: صحبت ابن عباس في السفر، فكان إذا نزل قام شطر الليل، ويرتل القرآن حرفًا حرفًا، ويكثر في ذلك من النشيج والنحيب).

تميم الداري: صلى ليلة حتى أصبح أو كاد يقرأ آية يرددها ويبكي ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ﴾ (الجاثية: ٢١).

سعيد بن جبير: قال عنه القاسم الأعرج: كان سعيد بن جبير يبكي بالليل حتى عمش، سمعته يردد هذه الآية: ﴿وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ﴾ (البقرة: ٢٨١) بضعًا وعشرين مرة.

الإمام الشافعي: قال حسين الكرابيسي: (بت مع الشافعي ليلة فكان يصلي نحو ثلث الليل، فما رأيته يزيد على خمسين آية، فإذا أكثر فمائة آية، وكان لا يمر بآية رحمة إلا سأل الله، ولا بآية عذاب إلا تعوذ، وكأنما جمع له الرجاء والرهبة جميعًا).

أبو سهل القطان: قال عنه أبو عبد الله بن بشر القطان: (ما رأيت أحسن انتزاعًا لما أراد من آي القرآن من أبي سهل بن زياد، وكان جارنا، وكان يديم صلاة الليل والتلاوة، فلكثرة درسه صار القرآن كأنه بين عينيه).

حمزة بن حبيب الزيات: قال عنه عبيد الله بن موسى: حدثني بعض جيرانه أنه لا ينام الليل، وأنهم يسمعون قراءته يرتل القرآن.

سعيد بن عبد العزيز التنوخي: كان يحيي الليل وقال عنه أبو النضر إسحق بن إبراهيم: كنت أسمع وقع دموع سعيد بن عبد العزيز على الحصير في الصلاة.

أبو عبيد القاسم بن سلام: قال ابن الأنباري: كان أبو عبيد يقسم الليل فيصلي ثلثه، وينام ثلثه، ويصنف ثلثه.

وسيرة أهل القرآن العطرة لا يمل منها، وإنما ذكرنا طرفًا يسيرًا يشحذ الهمم لاقتفاء أثرهم ونختم بواحد من أعلام القراءات المعاصرين وهو: الشيخ عبد العزيز عيون السود شيخ قرّاء مدينة حمص كان رحمه الله يواظب على قيام الليل، استيقظ رحمه الله آخر ليلة في حياته للصلاة، وقد لبس جُبَّته وعمامته، ودخل على أبنائه وهم نيام، فغطّاهم، وقال: الله خليفتي عليكم. ثم جلس يصلّي قاعداً بسبب شلله النصفي، وما أن استوى للركعة الثانية وقبض اليمنى على اليسرى، حتى هوى إلى الخلف، وقبض الله روحه الطاهرة.

نسأل الله أن يجعلنا من أهل القرآن إنه ولي ذلك والقادر عليه.

من أخلاق أهل القرآن

ويتلونه أطراف النهار ويتعاهدونه

إعداد: د. أسامة صابر

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

فقد ذكرنا في الحلقة السابقة من صفات أهل القرآن أنهم يتلونه آناء الليل، وها نحن نلتمس قبسًا من هديهم في ترتيله أطراف النهار وتعاهده.

في الصحيحين عن أبي موسى رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "تعاهدوا هذا القرآن فوالذي نفس محمد بيده لهو أشد تفلتًا من الإبل في عقلها" (صحيح مسلم ٧٩١)؛ فقد شبه النبي صلى الله عليه وسلم مدارسة القرآن واستمرار تلاوته بربط البعير الذي يُخشَى منه الشراد؛ فالحفظ مرتبط بالتعاهد.

وعن عبد الله بن مسعود قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: "بِئْسَ مَا لِأَحَدِهِمْ أَنْ يَقُولَ نَسِيتُ آيَةَ كَيْتَ وَكَيْتَ، بَلْ نُسِّيَ، وَاسْتَذْكِرُوا الْقُرْآنَ؛ فَإِنَّهُ أَشَدُّ تَفَصِّيًا مِنْ صُدُورِ الرِّجَالِ مِنَ النَّعَمِ" (صحيح البخاري ٥٠٣٢).

قال القرطبي: "معناه أنه عوقب بوقوع النسيان عليه لتفريطه في معاهدته واستذكاره".

وقال الحافظ ابن حجر: "سبب الذم ما فيه من الإشعار بعدم الاعتناء بالقرآن؛ إذ لا يقع النسيان إلا بترك التعاهد وكثرة الغفلة، فلو تعاهده بتلاوته والقيام به في الصلاة لدام حفظه وتذكره".

قال ابن بطال: "هذا الحديث يوافق الآيتين قوله تعالى: (إنا سنلقى عليك قولاً ثقيلاً)، وقوله تعالى: (ولقد يسَّرنا القرآن للذِّكْر)، فمن أقبل عليه بالمحافظة والتعاهد يُسِّرَ له، ومن أعرض عنه تَفَلَّتَ منه.

قال عثمان بن عفان رضي الله عنه: "لو طهرت قلوبكم ما شبعت من كلام ربكم".

وقد أرشد النبي صلى الله عليه وسلم عبد الله ابن عمرو بن العاص إلى الهدى في ختم القرآن فحين سأله (وكيف تختم؟) قال: كل ليلة، فقال له: (اقرأ القرآن في كل شهر) فأجابه أنه يطيق أكثر من ذلك؛ فقال له صلى الله عليه وسلم: (اقرأ في كل سبع ليالٍ مرة) (انظر الحديث في صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب في كم يقرأ القرآن: حديث ٥٠٥١).

قال الإمام النووي رحمه الله في كتابه (التبيان في آداب حملة القرآن): (ينبغي أن يحافظ على تلاوته ويكثر منها، وكان السلف رضي الله عنهم لهم عادات مختلفة في قَدْر ما يختمون فيه)، وذكر طرفًا من أخبارهم، ثم قال: (والاختيار أن ذلك يختلف باختلاف الأشخاص، فمن كان يظهر له بدقيق الفكر لطائف ومعارف فليقتصر على قدر يحصل له كمال فهم ما يقرأه، وكذا من

كان مشغولاً بنشر العلم أو غيره من مهمات الدين ومصالح المسلمين العامة فليقتصر على قدر لا يحصل بسببه إخلال بما هو مرصد له، وإن لم يكن من هؤلاء المذكورين فليستكثر ما أمكنه من غير خروج إلى حد الملل والهرذمة).

وفى رياض أهل القرآن تطيب القلوب بذكر سيرتهم

- عثمان بن عفان: كان رضي الله عنه يقرأ القرآن في ركعة ثم يوتر بها.

قال الإمام النووي: "فمن الذين كانوا يختمون الختمة في اليوم والليلة: عثمان بن عفان رضي الله عنه، وتميم الداري، وسعيد بن جبير، ومجاهد، والشافعي، وآخرون".

- الأسود بن يزيد النخعي: كان يختم القرآن في رمضان في كل ليلتين، وفي غير رمضان في كل ست ليال.

- علقمة: كان يقرأ القرآن في خمس، وقام بالقرآن في ليلة عند البيت.

- عروة بن الزبير: كان يقرأ ربع القرآن كل يوم في المصحف نظرًا، ويقوم به الليل، فما تركه إلا ليلة قطعت رجله.

- قتادة بن دعامة: كان يختم القرآن في سبع، فإذا جاء رمضان ختم في كل ثلاث، فإذا جاء العشر ختم في كل ليلة.

- حمزة بن حبيب الزيات: أحد القراء السبعة، قال: (نظرت في المصحف حتى خشيت أن يذهب بصري).

أبو بكر بن عياش (شعبة) الراوي عن عاصم: مكث أربعين سنة يختم القرآن في كل يوم وليلة، ولما حضرته الوفاة بكت أخته، فقال لها ما يبكيك؟ انظري إلى تلك الزاوية ختمت فيها ثمان عشرة ألف ختمة.

قال الإمام الذهبي معلقًا على ذلك: (إذا سمعت مثل هذا عن الرجل يعظم في عيني وأغبطه، ولكن متابعة السنة أرفع، فقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم أن يُقرَأ القرآن في أقل من ثلاث، وقال: (لم يفقه من قرأ القرآن في أقل من ثلاث) (أبو داود ١٣٩٤، والترمذي ٢٩٤٩ وصححه الألباني).

- الإمام الشافعي: قال عنه الربيع: كان يختم القرآن في شهر رمضان ستين ختمة، كل ذلك في صلاة.

- الإمام مالك: قيل لأخته: ما كان شغل مالك في بيته؟ قالت: المصحف والتلاوة.

- شيخ الإسلام ابن تيمية: لما حُبِسَ في القلعة وأخذوا منه أقلامه ودفاتره تفرغ لتلاوة القرآن وختمه في السجن ثمانين ختمة، وانتهى في آخر ختمة إلى آخر سورة القمر: (إن المتقين في جنات ونَهَر في مقعد صدق عند مليك مقتدر).

- الخياط محمد بن أحمد بن على مصنف كتاب المهذب في القراءات: كان له ورد بين العشاءين يقرأ فيه سبعًا من القرآن قائمًا وقاعدًا حتى طعَن في السن.

- يعقوب بن يوسف الحربي قال عنه ابن النجار: كان صالحًا من أعيان القراء الموجودين الضابطين، وكان قد يسَّر الله عليه التلاوة، وإذا دخل المسجد ركع تحيته فتلا فيها سبعًا أسرع من قراءة غيره.

- الدمياطي محمد بن عبد العزيز، مولده في حدود سنة ٦٢٠ قرأ القراءات على الإمام السخاوي، وقال عنه الإمام الذهبي: "شرعنا عليه الجمع. أي: بدأ القراءة عليه جمعًا للقراءات-، فوجدناه ذاكرًا قريب العهد بالخلاف، فبلغني أنه كان يتلو لنفسه كل ختمة لراوٍ، فلهذا لم ينس الفنّ، فكملت عليه الجمع الكبير".

نسأل الله أن يجعلنا من أهل القرآن، وللحديث بقية إن شاء الله، والحمد لله رب العالمين.

من أخلاق أهل القرآن

يتدبرون آياته

إعداد: د. أسامة صابر

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

فإن أهل القرآن لا يقتصرون على مجرد تلاوته، ولكنهم يتدبرونه ويُجْمِعُون فِكْرهم وعقلهم في تأمل آياته وفهم معانيه فتفتح لهم كنوز السعادة والعلوم النافعة، ويثبت الإيمان في قلوبهم، ويعرفون ربهم بأسمائه وصفاته وأفعاله، ويرون صورة الدنيا والآخرة، ويطالعون حال أهل السعادة والشقاوة؛ قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ (النساء:٨٢).

قال ابن كثير-رحمه الله-: (يقول تعالى آمرًا لهم بتدبر القرآن وناهيًا لهم عن الإعراض عنه وعن تفهُّم معانيه المحكمة وألفاظه البليغة، ومخبرًا لهم أنه لا اختلاف فيه ولا اضطراب ولا تعارض لأنه ﴿تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ (فصلت: ٤٢)، فهو حقٌ).

وقال عز وجل: ﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ (ص:٢٩).

قال الحسن البصري: "والله ما تدبُّره بحفظ حروفه وإضاعة حدوده حتى إن أحدهم ليقول قرأت القرآن كله ما يرى له القرآن في خلق ولا عمل)، وقال رحمه الله: (نزل القرآن ليتدبر ويعمل به، فاتخذوا تلاوته عملاً).

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: لا تنثروا القرآن نثر الدقل، ولا تهزوه هزّ الشعر، قفوا عند عجائبه، وحركوا به القلوب، ولا يكن هم أحدكم آخر السورة). (أخرجه ابن أبي شيبة «٨٧٣٣»).

والقلوب المعرضة عن التدبر عليها أقفال أطبقت عليها فمنعتها من الفهم، قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ (محمد:٢٤).

قال ابن القيم -رحمه الله-: (فليس شيء أنفع للعبد في معاشه ومعاده وأقرب إلى نجاته من تدبر القرآن وإطالة التأمل وجمع الفكر على معاني آياته، فإنها تطلع العبد على معالم الخير والشر بحذافيرها...)، ثم قال: (وبالجملة تعرفه الرب المدعو إليه وطريق الوصول إليه، وماله من الكرامة إذا قدم عليه، وتعرفه مقابل ذلك ثلاثة أخرى: ما يدعو إليه الشيطان والطريق الموصلة، وما للمستجيب لدعوته من الإهانة والعذاب بعد الوصول إليه، فهذه ستة أمور ضروري للعبد معرفتها).

قال الإمام النووي -رحمه الله-: (فإذا شرع في القراءة فليكن شأنه الخشوع والتدبر عند القراءة... قال: فهو المقصود والمطلوب، وبه تنشرح الصدور وتستنير القلوب).

قال أبو عبد الرحمن السلمي: (أخذنا القرآن عن قوم أخبرونا أنهم كانوا إذا تعلموا عشر آيات لم يجوزوهن إلى العشر الأخرى حتى يعلموا ما فيهن، فكنا نتعلم القرآن والعمل به، وسيرث القرآن بعدنا قوم يشربونه شرب الماء لا يجاوز تراقيهم، بل لا يجاوز ها هنا ووضع يده على حلقه).

من الوسائل المعينة على تدبر القرآن:

الرجوع إلى كتب التفسير وفهم السلف وعملهم بالقرآن.

تعلم اللغة التي نزل القرآن بها فإنه نزل بلسان عربي مبين.

استشعار عظمة القرآن فهو كلام الله وكتابه المبين ونور القلوب وشفاؤها.

أن يتمثل نفسه مخاطبًا بالقرآن، مقصودًا بالأمر والنهي، أتته رسائل من ربه وهو مطالب بفهمها والعمل بها.

القراءة بتمهل مع ترديد الآيات فلا يكون همه أن يختم السورة أو ينهي وِرْده، وإنما يُجيل فكره في المعاني،

التفاعل مع الآيات، فإذا مر بآية فيها تسبيح سبح، وإذا مر بسؤال سأل وإذا مر بتعوذ تعوذ.

أن يقرأ وهدفه العمل بالآيات وأن يصلح بها نفسه وأن يغير من حاله إلى ما يحبه الله ويرضاه.

من هدى النبي صلى الله عليه وسلم في التدبر:

عن عائشة رضي الله عنها قالت: (قام النبي صلى الله عليه وسلم بآية من القرآن ليلة) (الترمذى ٤٤٨).

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص أن النبي صلى الله عليه وسلم تلا قول الله عز وجل في إبراهيم ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ فَمَن تَبِعَنِى فَإِنَّهُۥ مِنِّى﴾ (إبراهيم: ٣٦) الآية، وقال عيسى عليه السلام: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ (المائدة: ١١٨)؛ فرفع يديه وقال: اللهم أمتي أمتي وبكى، فقال الله عز وجل: يا جبريل اذهب إلى محمد وربك أعلم، فسله ما يبكيك؟ فأتاه جبريل عليه الصلاة والسلام فسأله فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم بما قال وهو أعلم، فقال الله: يا جبريل اذهب إلى محمد فقل: إنا سنرضيك في أمتك ولا نسوءُك. (صحيح مسلم ٢٠٢).

وقرأ عبد الله بن مسعود على النبي صلى الله عليه وسلم من سورة النساء إلى قوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍۭ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا﴾ (النساء: ٤١)، قال: فالتفت إليه فإذا عيناه تذرفان. (صحيح البخارى ٤٥٨٢، ٥٠٥٠ وصحيح مسلم ٨٠٠).

من هدي السلف في التدبر:

-أبو بكر رضي الله عنه: قالت عنه عائشة (كان أبو بكر رجلا بكّاء لا يملك عينيه إذا قرأ القرآن). (متفق عليه).

-عمر بن الخطاب رضي الله عنه: قال عبد الله بن شداد بن الهاد: سمعت عمر رضي الله عنه يقرأ في صلاة الصبح سورة يوسف فسمعت نشيجه وإني لفي آخر الصفوف وهو يقرأ ﴿قَالَ إِنَّمَآ أَشْكُوا۟ بَثِّى وَحُزْنِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (يوسف: ٨٦).

- تميم الداري رضي الله عنه: كرر هذه الآية حتى أصبح: ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ (الجاثية: ٤).

- أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها: قال عباد بن حمزة دخلت على أسماء رضي الله عنها وهى تقرأ ﴿فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ﴾ (الطور: ٢٧)؛ فوقفت عندها فجعلت تعيدها وتدعو، فطال عليَّ ذلك، فذهبت إلى السوق فقضيت حاجتي ثم رجعت وهي تعيدها وتدعو.

- وكان الضحاك إذا تلا قوله تعالى: ﴿لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ﴾ (الزمر: ١٦) يرددها إلى السحر.

- وكان عمر بن ذر إذا قرأ (مالك يوم الدين) قال: يالك من يوم ما أملك ذكرك لقلوب الصادقين).

- وقال رجل لابن المبارك: قرأت البارحة القرآن في ركعة، فقال: لكني أعرف رجلاً لم يزل البارحة يكرر ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ﴾ (التكاثر: ١) إلى الصبح، ما قدر أن يتجاوزها- يعني نفسه.

سعيد بن جبير: كان يبكي بالليل حتى عمش، وسُمِعَ يردُد هذه الآية: ﴿وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ﴾ (البقرة: ٢٨١) بضعًا وعشرين مرة.

- مجاهد بن جبر: قال عرضت القرآن على ابن عباس ثلاث عرضات أقف عند كل آية أسأله فيم نزلت؟ وكيف كانت؟

- وكان منهم من يتدبر القرآن ويردد آياته حتى عند احتضاره:

منهم أبو الدرداء قرأ عند احتضاره ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ (الأنعام: ١١٠).

وقرأ عمر بن عبد العزيز ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْـَٔاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (القصص: ٨٣).

وقرأ عاصم بن أبي النجود ﴿ثُمَّ رُدُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ ۚ أَلَا لَهُ ٱلْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَٰسِبِينَ﴾ (الأنعام: ٦٢).

ونختم بوصية عظيمة للإمام نافع المدني؛ أحد القراء العشرة قال: (إن هذا القرآن لعظيم، جاء من عند عظيم، فإذا قرأت فلا تشتغلن بغيره، وانظر من تخاطب، وإياك أن تمل منه، أو تؤثر عليه غيره).

نسأل الله أن يرزقنا تلاوة القرآن وتدبره آناء الليل وأطراف النهار، والحمد لله رب العالمين.

من أخلاق أهل القرآن

يعملون بمُحكَمه ويؤمنون بمتشابهه

إعداد د. أسامة صابر

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

فما يزال الحديث مستمرًا عن «أخلاق حَمَلة القرآن»، ومنها أنهم يعملون بمُحكَمه ويؤمنون بمتشابهه. قال تعالى: « هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ » (آل عمران: ٧).

فقد بيَّن الله عز وجل أن في القرآن آيات محكمات واضحات الدلالة هي الأصل الذي يرجع إليه عند الاشتباه.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: «المحكمات ناسخه، وحلاله وحرامه، وأحكامه وحدوده وفرائضه، وما يؤمر به ويعمل به.

و(منه آيات متشابهات) في الدلالة على كثير من الناس أو بعضهم، وطريقة أهل القرآن هي طريقة الراسخين في العلم يعملون بالمُحكَم، ويؤمنون بالمتشابه، ويردونه إلى ما عرفوا من المحكم؛ فالجميع حقٌّ وصدقٌ ومُنَزَّلٌ من عند الله.

إن الغاية العظمى من قراءة القرآن وتدبره أن نعمل به ونتبعه، قال تعالى: « وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ » (الأنعام:١٥٥).

قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: «كان الرجل منا إذا تعلم عشر آيات لم يجاوزهن حتى يعرف معانيهن والعمل بهن»؛ والعمل بالقرآن يكون بتصديق أخباره، واتباع أحكامه.

والقرآن حُجَّة لك أو عليك، وهو شفيعٌ لأصحابه الذين يعملون به، وقد بيَّن الله عز وجل حال ومآل من اتبع القرآن ومن أعرض عنه؛ فقال تعالى: «فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ » (سورة طه: ١٢٣-١٢٦).

وأرشدنا الله عز وجل إلى تلاوته حق التلاوة فقال: « ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ » (البقرة:١٢١).

قال ابن مسعود رضي الله عنه في قوله (يتلونه حق تلاوته): يتبعونه حق اتباعه.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: «يُحِلُّون حلاله، ويُحَرِّمون حرامه، ولا يُحرِّفونه عن مواضعه».

وقال الحسن البصري: «يعملون بمُحكَمه ويؤمنون بمتشابهه، ويَكِلون ما أشكل عليهم إلى عالمه».

وحذرنا الله تعالى من حال أهل الكتاب؛ فعلماؤهم لا يعملون بما فيه، قال تعالى: « مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا ۚ بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ لَا

يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ »(الجمعة:٥).

وعامتهم يتلونه بلا فهم: «وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ »(البقرة: ٧٨).

وقد بيَّن النبي صلى الله عليه وسلم أن أهل القرآن حقًا هم العاملون به؛ فعن النواس بن سمعان قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «يؤتى بالقرآن يوم القيامة وأهله الذين كانوا يعملون به تقدمه سورة البقرة وآل عمران» الحديث (صحيح مسلم).

وضرب مثلاً يبين حال الناس مع القرآن قراءةً وعملاً؛ ففي صحيح البخاري (٥٠٥٩) من حديث أبي موسى رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «المؤمنُ الذي يقرأ القرآنَ ويعملُ به كالأُتْرُجَّة، طعمها طيب وريحها طيب، والمؤمن الذي لا يقرأ القرآن ويعمل به كالتمرة، طعمها طيب ولا ريح لها، ومثل المنافق الذي يقرأ القرآن كالريحانة، ريحها طيب وطعمها مُرّ، ومثل المنافق الذي لا يقرأ القرآن كالحنظلة، طعمها مُرّ -أو خبيث- وريحها مُرّ».

قال ابن القيم: «أهل القرآن هم العالمون به، العاملون بما فيه، وإن لم يحفظوه عن ظهر قلب، وأمَّا من حفظه ولم يفهمه، ولم يعمل بما فيه فليس من أهله وإن أقام حروفه إقامة السهم» (زاد المعاد ١/ ٣٢٧).

من هدي السلف الصالح في العمل بالقرآن:

النبي صلى الله عليه وسلم: تصفه أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها؛ فتقول: «كان خُلُقه القرآن»، قال ابن كثير في تفسيره: «ومعنى هذا أنه صلى الله عليه وسلم صار امتثال القرآن أمرًا ونهيًا سجيةً له وخُلُقًا، فما أمره القرآن فعله، وما نهاه عنه تركه».

أبو بكر الصديق رضي الله عنه: لما نزل قول الله تعالى: « وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُوا۟ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓا۟ أُو۟لِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلْيَعْفُوا۟ وَلْيَصْفَحُوٓا۟ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ »(سورة النور: ٢٢)، قال: بلى والله يا ربنا؛ إنا لنحب أن تغفر لنا، ورجع للإنفاق على قريبه مسطح الذي كان قد خاض في حديث الإفك.

عمر بن الخطاب رضي الله عنه: كان يقول اللهم بيِّن لنا في الخمر بيانًا شافيًا؛ فلما نزلت آية المائدة بتحريمها، دُعيَ فقرئت عليه، فلما بلغ قول الله تعالى: (فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ) (المائدة: ٩١)؟ قال عمر: انتهينا انتهينا.

ولما جهل عليه عيينة بن حصن وقال: ما تعطينا الجزل، ولا تحكم بيننا بالعدل، وهَمَّ عمر أن يوقع به، ذكَّره الحر بن قيس بقوله تعالى: « خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ » (الأعراف: ١٩٩)؛ فما جاوزها عمر حين تلاها عليه، وكان وقَّافًا عند كتاب الله عز وجل.

أبو طلحة رضي الله عنه: كان أكثر أنصاري بالمدينة مالاً، وكان أحب أمواله إليه بيرحاء، فلما نزلت: (لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ) (آل عمران: ٩٢)؛ تصدق بها يرجو برّها وذُخرها عند الله تعالى.

وقرأ سورة براءة فأتى على هذه الآية (ٱنفِرُوا۟ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ) (التوبة: ٤١)؛ فقال: أرى ربنا استنفرنا شيوخًا وشبانًا؛ جَهِّزوني يا بَنيّ، فقال بَنُوه: يرحمك الله! قد غزوت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى مات، ومع أبي بكر حتى مات، ومع عمر حتى مات؛ فنحن نغزو عنك، فأبى، فركب البحر فمات فلم يجدوا له جزيرة يدفنوه فيها إلا بعد تسعة أيام فلم يتغير فدفنوه فيها».

نساء الصحابة رضي الله عنهن: عن عائشة رضي الله عنها قالت: «يرحم الله نساء المهاجرات الأول، لما أنزل الله: (وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ) (النور: ٣١)؛ شققن مروطهن فاختمرن بها».

معقل بن يسار رضي الله عنه قال: زوجت أختًا لي من رجل فطلقها، حتى إذا انقضت عدتها جاء يخطبها، فقلت له: زوّجتك وأفرشتك وأكرمتك فطلّقتها ثم جئت تخطبها؟ لا والله، لا تعود إليك أبدًا، وكان رجلاً لا بأس به، وكانت المرأة تريد أن ترجع إليه، فأنزل الله هذه الآية (فَلا تعضلوهن)؛ فقلت: الآن أفعل يا رسول الله. قال: فزوجها إياه (صحيح البخاري: ٥١٣٠).

نسأل الله أن يرزقنا تلاوة القرآن آناء الليل وأطراف النهار، وأن يرزقنا العمل بأحكامه في كل دقيق وجليل، والحمد لله رب العالمين.